جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

الفروق البلاغية بين "إن وأن" في سورة الحج "بين متطلبات المقام وثراء الدلالة"

The Rhetorical Differences Between "Inna" And "Anna" In Surat Al-Hajj Are Due To The Soft Requirements Of The Situation And The Richness Of

إعداد

د. أحمد عوض عبد العزيز قطب

الأستاذ المساعد بقسم البلاغة والنقد في الكلية

(العدد الرابع والأربعون)

(الإصدار الثالث-أغسطس)

(الجزء الأول (1447هـ /2025م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN) *2536- 9083*
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : 2025/6271م

الفروق البلاغية بين "إن وأن" في سورة الحج "بين متطلبات المقام وثراء الدلالة"

أحمد عوض عبد العزيز قطب

قسم البلاغة والنقد، كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر، أسيوط ، مصر.

البريد الإلكتروني : ahmedkotb.47@azhar.edu.eg

الملخص

يقوم البحث على بيان بلاغة حرفي التوكيد "إنّ، وأنّ" في سورة الحج، ومتطلبات المقام في اختيار أحد حرفي التوكيد دون الثاني، وما يتبع ذلك من ثراء الدلالة في كل موضع اختص به أحد الحرفين دون الآخر، وذلك سبب الاختيار، أما الهدف: فهو بيان اختلاف الدلالة افتراضا لقيام أحد الحرفين مقام الآخر، كذلك المواضع التي ينفرد بها أحد الحرفين، وبيان الدلالة المستفادة مع كل حرف منهما، والمنهج المتبع في ذلك هو المنهج الوصفي القائم على التحليل ؛ وذلك لما يوجد في الحرفين من تباين ملحوظ، سواء تباين في الشبه، أو تباين في البنية، والذي ترتب عليه تباين في الدلالة والتأويل، وهو الذي يكشفه التحليل؛ وقد تنوعت متطلبات المقام بين الحرفين في سورة الحج؛ حيث يكثر في هذه السورة الكريمة ورود حرفي التوكيد: "إن" و"أن"، وذلك بين التعليل، والتوكيد، والسببية، واختصت "إن" مكسورة الهمزة بالاستئناف البياني .

الكلمات المفتاحية: بلاغة "إنّ، وأنّ"، متطلبات المقام، ثراء الدلالة، سورة الحج.

the rhetorical differences between “inna" and "anna” in Surat Al-Hajj are due to the soft requirements of the situation and the richness of the meaning

Ahmed Awad Abdel Aziz Qutb.
Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Arabic Language, Al-Azhar University, Assiut, Egypt.

Email: *ahmedkotb.47@azhar.edu.eg*

Abstract:

This research examines the eloquence of the two letters of emphasis "inna" and "anna" in Surat Al-Hajj. It also examines the contextual requirements for choosing one of these two letters over the other, and the consequent richness of meaning in each instance where one letter is unique to the other. This is the reason for this selection. The objective is to demonstrate the difference in meaning, assuming one letter replaces the other. It also examines the instances where one letter is unique, and the significance derived from each letter. The methodology employed is descriptive and analytical. This is due to the noticeable differences between the two letters, whether in similarity or in structure, which results in differences in meaning and interpretation, as revealed by the analysis. The contextual requirements vary between the two letters in Surat Al-Hajj, as the two letters of emphasis, "inna" and "anna," frequently occur in this noble surah, ranging from explanation to emphasis and causation. "inna" with a broken hamza is unique in its rhetorical resumption.

Keywords: *Rhetoric of “inna” and “anna,” requirements of the situation, richness of meaning, Surat Al-Hajj.*

مقدمة

الحمد لله رب العالمين خلق الإنسان علمه البيان، والصلاة والسلام على خير خلق الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد

فإن من أسرار بلاغة القرآن الكريم قيام كل حرف مقامه من الدلالة، ومتطلبات المقام الذي ورد فيه، فلا يغني حرف عن حرف؛ وهذا ضرب من إعجاز كلام ربنا – جل وعلا – فكل حرف لا يغني غناؤه غيره وإن تشابها في الدلالة، ومن هذه الحروف: "إن" و"أن" فإنهما بالرغم من جمعهما بين دلالة التوكيد إلا أن كلا منهما قد اختصت بموضعها في كتاب الله، لا تصلح مكانها أختها، فأما إذا تعاورتا على موضع يجوّز أحدهما مكان الأخرى فإن الدلالة تختلف بين ورود كل منهما؛ وكان من سور القرآن الكريم ما كثر فيه ورود هذين الحرفين: سورة الحج؛ فالقارئ لسورة الحج يلاحظ كثرة ورود هذين الحرفين في ثنايا السورة، وقد تنوعت المواضع الواردة في السورة بين الحرفين، ولكل موضع منها ما يتطلبه المقام، ويثري الدلالة، فجاء هذا البحث ليكشف عن بعض هذه الجوانب من متطلبات ذلك المقام وثراء هذه الدلالة؛ فكان عنوانه: "**الفروق البلاغية بين "إن وأن" في سورة الحج "بين متطلبات المقام وثراء الدلالة**"" ، محاولة من الباحث أن يجيب عن بعض التساؤلات مثل: هل ينفرد حرفا التوكيد، أو أحدهما بمعاني خاصة، أو أساليب خاصة لهذه المعاني؟ هل تفترق الدلالات أو تتباين في سورة الحج بين هذين الحرفين؟ هل التوكيد سمة عامة للحرفين أم يفارقهما إذا اختلفت معانيهما؟ .

المنهج:

وقد اعتمد الباحث في هذا البحث على المنهج الوصفي القائم على التحليل.

الدراسات السابقة:

هذا وقد سُبق البحث بعدة دراسات عن حرفي التوكيد خاصة، أو دراسة سورة الحج، وذلك منها:

- بلاغة التوكيد في سورة الحج تأليف: د. أفراح عبدالعزيز العجلان - دار النشر: ملامح للنشر والتوزيع.

- الفرق بين الأحرف: إنَّ، إنْ، أنَّ، أنْ، المؤلف: القراضي، الطاهر خليفة، مجلة قاريونس العلمية, س12, ع3,4، الناشر: جامعة قاريونس1999م.

- (إنّ) و(أنّ) و(أنْ) و(إنْ): دراسة في العلاقات التركيبية والتطور اللغوي، المؤلف: عكاشة، عمر يوسف، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها, مج 19, ع 41، الناشر: جامعة أم القرى 2007م .

- "أنّ" و "إنّ": دراسة دلالية نحوية، المؤلف: علي، عماد عوض الزين، مجلة القلزم للدراسات التربوية والنفسية واللغوية, ع19، الناشر: مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر وجامعة بخت الرضا 2023م.

- "إنّ" الرابطة وبلاغة موقعها في النظم القرآني، المؤلف: صيام، محمود عبدالله محمد، المصدر: مجلة الدراية, ع12, ج5، الناشر: جامعة الأزهر - كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق 2012م .

وهذه الدراسات وإن كانت تشترك في عناوينها مع بعض جوانب بحثي إلا أنها تفارقها في التناول والمنهج ومادة الدراسة، فبعضها يتناول التوكيد فقط، وبعضها يدرس العلاقات التركيبية للحرفين مخففين وثقيلين، وبعضها نحويا، وبعضها يتناول حرفا واحدا في النظم القرآني كله.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يأتي في مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة، وفهارس فنية.

المقدمة: وتناولت فيها: مثير البحث، وهدفه، وتساؤلاته، ومنهجه، والدراسات السابقة، وخطته.

التمهيد: وفيه محوران.

- بين"إنّ، وأنّ" من: تباين في الشبه، والبنية، والدلالة، والتأويل.
- المعاني الكلية في سورة الحج ومعاقدها.

المبحث الأول: التأكيد بين: "إن" وأن".

المبحث الثاني: التعليل بين: "إن وأن".

المبحث الثالث: السببية بين: "إن و"أن".

المبحث الرابع: الاستئناف البياني بـ: "إن"

الخاتمة وفيها بعض نتائج البحث.

الفهارس: فهرس المصادر والمراجع، وفهرس المحتويات.

التَّمْهِيدُ

بين إنّ وأنّ:

ذكر النحاة أنّ "إنّ" المكسورة لها مواضع تختص بها عن مواضع "أنّ" المفتوحة، وتبعا لاختلاف تلك المواضع تختلف المعاني المرادة من كل منهما، فإن اشتركا في بعض المعاني كالتأكيد والتعليل، فدلالة كل من التأكيد والتعليل مختلفة في الموضعين كذلك؛ وذلك تبعا لخصوصية المعنى المراد من كل منهما، هذه الخصوصية في المعنى تابعة لخصوصية كل من حرفي التأكيد، ومن هذه الخصوصية.

التباين في الشبه:

فـ "أنّ" المفتوحة تشبه الاسم، فهي وما دخلت عليه بمنزلة الاسم المفرد؛ فتقع في موضع الفاعل، وموضع المفعول ... وغيرها من مواضع المفرد؛ كما قال سيبويه: " أما أنَّ فهي اسم وما عملت فيه صلةٌ لها، كما أن الفعل صلة لأن الخفيفة وتكون أن اسماً"[1]، وفسره السيرافي بقوله: "أن وما بعدها من اسمها وخبرها منزلتهما منزلة الاسم واحد في مذهب المصدر، كما تكون أن المخففة وما بعدها من الفعل الذي تنصبه بمنزلة المصدر، وتقع المشددة فاعلة ، ومفعولة، ومبتدأة، ومخفوضة، ويعمل فيها جميع العوامل، إلا أنها لا تقع مبتدأة في اللفظ"[2]، فكل ما كان مظنة للمفرد

---

(1) – الكتاب لسيبويه ت: 180هـ – تحقيق: عبد السلام محمد هارون – الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة – الطبعة: الثالثة، 1408 هـ – 1988 م (3/ 119).

(2) – شرح كتاب سيبويه لأبي سعيد للسيرافي ت: ٣٦٨ هـ – تحقيق: أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي – الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان – الطبعة: الأولى، ٢٠٠٨ م (3/ 334 وما بعدها).

وقعت فيه "أنّ" المفتوحة[1]، أما "إنّ" المكسورة فتشبه الفعل؛ فهي بمنزلته حيث تستقل بالعمل، ولا تقع معمولة كما تقع الأسماء معمولة لغيرها، أو كما قال سيبويه: "وأما إنَّ فإنَّما هي بمنزلة الفعل لا يعمل فيها ما يعمل في أنَّ، كما لا يعمل في الفعل ما يعمل في الأسماء"[2] وعلى ذلك فما كان مظنة للجملة وقعت فيه المكسورة[3]، وعلى هذا التباين في الشبه بين "أنّ، وإنّ" تباينت بنيتها داخل التركيب.

التباين في البنية:

لما كانت "أن" المفتوحة الهمزة تقع موقع الاسم المفرد احتاجت أن تكون جزءا من كلام يأتي قبلها؛ وذلك لوقوعها موقع المعمول من الأسماء فتفتقر أن تسبق بعامل فيها، فلا يحسن السكوت عليها مع ما دخلت عليه؛ لوقوعها موقع المفرد، والمفرد لا يفيد كلاما تاما يحسن السكوت عليه إلا إذا ضُم إليه كلام آخر، فتكون هي مع مدخولها بمنزلة المفرد في وجوب بنائه مع غيره، وذلك بخلاف "إنّ" المكسورة التي تستقل بمدخولها في الإفادة، فتكون "الجملة معها على استقلالها بفائدتها، ولذلك يحسن السكوت عليها؛ لأن الجملة عبارة عن كل كلام تام قائم بنفسه مفيد لمعناه، فلا فرق بين قولك: "إنّ زيدا قائم"، وبين قولك: "زيد قائم" إلا معنى التأكيد؛ ويؤيد عندك أن الجملة بعد دخول "إنّ" عليها على استقلالهما بفائدتها، أنها تقع في الصلة كما كانت كذلك قبل، نحو قولك: "جاءني الذي إنه عالم"؛ قال الله تعالى: " إِذْ

---

(1) – ينظر: شرح المفصل لابن يعيش ت: 643هـ – قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب – الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان – الطبعة: الأولى، 1422 هـ – 2001 م (528/4).

(2) – الكتاب (3/ 120).

(3) – ينظر: شرح المفصل لابن يعيش (527/4).

قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ "[1]، وليست "أنّ" المفتوحة كذلك"[2]، وهذا التباين في البنية استلزم تباينا في معاني التعليل والتأكيد لكل منهما.

التباين في الدلالة:

الدلالة المقصودة هنا تتفرع عن المعاني التي تفيدها كل من "إنّ، وأنّ" من التعليل والتأكيد والربط وغيرها؛ فـ "أنّ" المفتوحة الهمزة تفيد تعليلا محضا، وذلك لقوة اتصالها بما قبلها؛ لكونها معه تمثل جملة واحدة، لا تنفك مع مدخولها عنه، وذلك بخلاف "إنّ" التي تستقل بجملتها عما قبلها؛ فهي إذا كان مدخولها علة لما قبلها فهذا التعليل ليس محضا؛ ولذلك قالوا عند التعليل بـ "أنّ" إنه على حذف اللام قال سيبويه: "وسألت الخليل عن قوله جل ذكره: " وَأَنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ "[3] ، فقال: إنَّما هو على حذف اللام، كأنه قال: ولأن هذه أمتكم أمةً واحدةً وأنا ربُّكم فاتقون، وقال: ونظيرها: " لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ "[4] لأنه إنما هو: لذلك " فَلۡيَعۡبُدُواْ "[5]"[6] ثم قال سيبويه: "ولو قرأوها: " وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ " كان جيدا"[7]، فمن أجل هذه اللام كان التعليل مع "أنّ" مفتوحة الهمزة محضا، ولهذه الدلالة أيضا قويت فيها معاني السببية، فرقا بين مجيء "إنّ" مكسورة الهمزة، وإن كان التعليل بالمكسورة الهمزة أجود كما قال سيبويه، ولذلك قدم المكسورة الهمزة على

---

(1) – سورة: القصص. آية: 76.

(2) – شرح المفصل لابن يعيش (526/4).

(3) – سورة: المؤمنون. آية: 52.

(4) – سورة: قريش. آية: 1.

(5) – السورة نفسها. بعض آية: 3.

(6) – الكتاب (3/ 126 وما بعدها).

(7) – نفسه(3/ 127).

مفتوحتها في قوله: "وتقول: لبيك إنّ الحمد والنعمة لك، وإن شئت قلت: أنّ"[1]، وذلك لكون "إنّ" المكسورة الهمزة وإن أفادت تعليل التلبية من وجه الاستئناف البياني المنبئ عن سؤال مقدر سابق جاء التعليل إجابة عنه إلا إنها أفادت عموم استحقاق الحمد والنعمة على كل حال من غير التعلق سببا بالتلبية، وذلك بخلاف "أن" المفتوحة الهمزة، والتي أفادت تسبب التلبية على حصول الحمد والنعمة، وهذا فيه ضعف، وذلك لتقييد التعليل بالعامل، بخلاف التعليل بـ "إنّ" المكسورة فإنه تعليل عام وحكم مستأنف[2].

وعلى ذلك رأي الحنفية في قولهم: "وأما في الجواز فيجوز الكسر على استئناف الثناء وتكون التلبية للذات، والفتح على أنه تعليل للتلبية، أي: لبيك لأن الحمد والنعمة لك والملك، ولا يخفى أن تعليق الإجابة التي لا نهاية لها بالذات أولى منه باعتبار صفة"[3]، وهذا ترجيح بين الوجهين، على اعتبار خصوصية المعنى المراد والأليق بالمقام "فالفتح على تقدير لام العلة، والكسر على أنه تعليل مستأنف، وهو أرجح؛ لأن الكلام حينئذ جملتان، لا جملة واحدة، وتكثير الجمل في مقام التعظيم مطلوب"[4]، وعلى هذا التباين في الدلالة يتباين التأويل في موضع كل منهما.

---

(1) – الكتاب (3/ 128).

(2) – ينظر: معاني النحو للدكتور فاضل صالح السامرائي – الناشر: شركة العاتك لصناعة الكتاب – القاهرة، درب الأتراك – الطبعة: بدون (267/1).

(3) – فتح القدير لكمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي ت: 861هـ – الناشر: دار الفكر – الطبعة: بدون (434/2).

(4) – شرح التصريح على التوضيح لخالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد زين الدين المصري د ت: 905هـ – الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت، لبنان – الطبعة: الأولى 1421هـ–2000م(306/1).

التباين في التأويل:

هذا التباين قائم على كون "أنّ" المفتوحة تشترك مع الأحرف المصدرية في كونها تجعل مع مدخولها في حكم المصدر "والمصدر معنى ذهني غير متشخص فـ "أنّ" على هذا تجعل الأمر معنويا ذهنيا، فثمة فرق بين قولك: أرى محمدا واقفا، وأرى أنّ محمدا واقف، فالأول موقف متشخص ورؤي بصرية، والثاني موقف عقلي ورؤي عقلية، أي: أرى أنّه فاعل ذلك وأحسبه ... فـ "أنّ" إذن تحول المحسوس إلى معقول، والمتشخص إلى ذهني"[1]، وهذا فرق بين الذهني العقلي الذي يتوقف فهمه وتأويله على الرؤية والتدبر، وبين المتشخص المحسوس الذي يدرك تأويله طبعا وضرورة.

ومن تباين التأويل بين حرفي التوكيد "إنّ وأنّ" وذلك من خلال تأويل "أنّ" المفتوحة بالمصدر كونها تجعل الكلام شأنا وقصة وحديثا[2]؛ فيتسع التأويل اتساع هذا الحديث وتلك القصة، وهذا بخلاف ما إذا لم يكن الكلام على الشأن والقصة، وعلى ذلك تتباين مواضع كلا الحرفين "والمواضع التي تقع فيها "أن" المفتوحة لا تقع فيها "إن" المكسورة, فمتى وجدتهما يقعان في موقع واحد، فاعلم: أن المعنى والتأويل مختلف"[3]، ومن اختلاف التأويل وتباينه: تباين موضع التأكيد بين الحرفين، لكونه لما كانت "أنّ" المفتوحة الهمزة تؤول مع مدخولها بما هو في حكم المصدر؛ وهي تفيد التوكيد في غياب التصريح بهذا المصدر "لأنك لو صرحت بالمصدر المنسبك منها لم يفد توكيدا ويقال: التوكيد للمصدر المنحل؛ لأن محلها مع ما بعدها المفرد

---

(1) – معاني النحو (270/1).

(2) – الأصول في النحو لابن السراج ت: 316هـ – تحقيق: عبد الحسين الفتلي – الناشر: مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت – الطبعة: بدون (265/1).

(3) – ينظر: نفسه (266/1).

وبهذا يفرق بينها وبين "إن" المكسورة فإن التأكيد في المكسورة للإسناد وهذه لأحد الطرفين"[1]، وعلى ذلك يتباين التأويل بين الحرفين تبعا لموضع التأكيد في كل منهما.

المعاني الكلية في سورة الحج، ومعاقدها.

تتضمن سورة الحج على مدارج ترتيلها – فيما أعلم – أربعة معانٍ كلية، وهذه المعاني تشتمل على معاقد جزئية تسرى فيها روح هذه المعاني الكلية الأربعة، كما تتعلق هذه المعاني الكلية بالمقصود الرئيس للسورة الكريمة، الذي يتغلل في هذه المعاني كلها.

فالمقصود الرئيس لسورة الحج كما قال الإمام البقاعي: " الحث على التقوى، المعلية عن دركة الاستحقاق الحكيم بالعدل، إلى درجة استئهال الإنعام بالفضل، في يوم الجمع، لطيف التذكير به"[2]، وهذه الكلمة في بيان مقصود السورة الكريمة: كلمة جليلة جدا، ولم أقع – فيما أعلم – على كلمة هي أجل في بيان مقصود السورة من هذه، ومن خلال هذا المقصود الأعظم للسورة تأتي الأقسام الكلية للسورة أو المعاني الكلية:

القسم الأول: ويشمل الآيات: (1: 24).

القسم الثاني: ويشمل الآيات: (25: 41).

القسم الثالث: ويشمل الآيات: (42: 59).

القسم الرابع: ويشمل الآيات: (60: 78).

---

(1) – البرهان في علوم القرآن للزركشي ت: 794هـ – تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم – الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه – الطبعة: الأولى، 1376 هـ – 1957 م (2/ 407)، وينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي ت: 911هـ – الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة: الأولى 1408 هـ – 1988 م (72/2).

(2) – مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السّوَرِ للبقاعي ت: 885هـ – الناشر: مكتبة المعارف – الرياض – الطبعة: الأولى 1408 هـ – 1987 م (294/2).

هذه الأقسام الأربعة التي اشتملت عليها السورة الكريمة[1]، والتي تحكي المعاني الكلية، فيها ما يمكن تجزئته إلى معاقد للمعاني الواردة في هذه الأقسام؛ فالقسم الأول من صدر السورة يدور حول معنى: بيان أحوال أصناف الناس في تقبل الأمر بالتقوى بعد حصول التخويف بأهوال الساعة.

فكان أول معاقد المعاني في هذا القسم تعليل الأمر بالتقوى بالترهيب والتخويف من الساعة وأهوالها، وهذا المعقد يمثله الآيات الأولى والثانية من السورة؛ ثم يليه المعقد الثاني الذي أبان عن بعض أصناف الناس الذين شملهم النداء في بداية السورة، من الذين حادوا عن الأمر بالتقوى، وجادلوا في الله – سبحانه – بغير علم، واتبعوا كل مريد من الشياطين، وهذا بعض ما أخبرت به الآيات من (3: 7) في المعقد الثاني من القسم الأول؛ ثم يأتي المعقد الثالث لبيان صنف آخر من الناس هو أعتى من الأول؛ لكون "الأول تابع ضال، وهذا داع لأهل الضلال"[2]، وهو على دعوته غير مؤسس دليله على علم ولا هدي ولا كتاب، فهو تابع لكبره وهواه؛ فاستحق مضاعفة العذاب في الدنيا والآخرة؛ وهذا المعقد يشمل الآيات 8، و9، 10 من هذا القسم؛ ثم يأتي المعقد الثالث لبيان صنف ثالث من الناس حكم المولى – سبحانه وتعالى – على فعله بكونه ضلالا بعيدا؛ أما المعقد الرابع من هذا القسم فقد جاء لبيان صنوف الناس يوم القيامة، ونصيبهم من تحصيل الأمر بالتقوى، ومآل كل

---

(1) – ينظر: الموسوعة القرآنية، خصائص السور لجعفر شرف الدين – تحقيق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي – الناشر: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت – الطبعة: الأولى – 1420 هـ (6/ 5 وما بعدها).

(2) – نظم الدرر للإمام البقاعي ت: 885هـ – الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة – الطبعة: بدون(15/13).

صنف منهم وشهادة الله عليهم، وبهذا المعقد ينتهي القسم الأول من السورة، والذي يمثل المعنى الكلي للسورة الكريمة.

أما القسم الثاني، والذي يمثل المعنى الكلي الثاني في السورة الكريمة، فيه يفرق المولى – سبحانه وتعالى – بين من يحقق التقوى بتعظيم حرمات الله وشعائره، وبين من يصدون عن سبيل الله وهذه الشعائر، ويظنون أنها خاصة لهم، فكان البيان القرآني عن قصة المسجد الحرام والحج إليه، وسنة الله – سبحانه – في خلقه من دفع بعضهم ببعض، وتمكين أهل التقوى منهم، ونصرهم بعد الإذن لهم في قتال الكافرين.

أما القسم الثالث أو المعنى الكلي الثالث في السورة الكريمة، فيدور حول: تسلية النبي صل الله عليه وسلم عن صنيع قومه معه، بذكر أحوال الأنبياء مع قومهم، وما لاقوه من تكذيبهم، وكيف كان مآل هؤلاء المكذبين إلى الهلاك؛ فليعتبر هؤلاء بهؤلاء، فليس لهم منجاة إلا تحصيل التقوى من الله – سبحانه وتعالى – بالإيمان؛ فهو الذي يملك أمر عذابهم أو نعيمهم، وما على رسولهم إلا البلاغ، ولو تمنى استمالة قومه الضالين بما يلقي الشيطان إليه لنزع الله – سبحانه – ما يلقى الشيطان في قلبه، ويكون فتنة للظالمين، فلا يمتثلوا الأمر بالتقوى حتى يحكم الله بينهم يوم القيامة، وبين من حققوا هذه التقوى فأرضاهم.

أما المعنى الكلي الرابع في السورة، والذي يمثل القسم الأخير، فسيق لبيان دلائل جلال الله، وكماله، وقدرته التي لو تدبرها الظالمون لقدروا الله حق قدره، وما دعوا من دونه من هم أدنى مرتبة من الذباب، ولحققوا التقوى لأنفسهم من عذاب الله، واستحقوا النصرة والنجاة من النار؛ هذه التقوى التي اعتصم بها المسلمون؛ فاجتباهم الله، وتولاهم، ونصرهم، لكونهم فقهوا التعليل الوارد في صدر السورة بـ "إن" في قوله: " إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ " والذي أكد بها عظم زلزلة يوم القيامة، وذلك تعليل للأمر في صدر الآية في قوله تعالى: " يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ " .

المبحث الأول

التأكيد بين: "إن"، و"أن".

يعد التوكيد من المعاني العامة لـ"إن، وأن"؛ ولذا سميا بحرفي التوكيد، حتي كان ذلك المعنى "هو الأصل فيها، ويدور معها حيث وردت"[1]، وقد جعل الشيخ عبدالقاهر هذا المعنى هو الأصل الذي عليه البناء، وذلك في قوله: "ثم إن الأصل الذي ينبغي أن يكون عليه البناء، هو الذي دون في الكتب، من أنها للتأكيد"[2] فهو الفائدة فيهما كما قال ابن يعيش: "فأمّا فائدتهما، فالتأكيدُ لمضمون الجملة"[3] وهما إن كان معناهما العام التأكيد لمضمون الجملة، إلا أن مرتبة هذا التأكيد تتفاوت قوة وزيادة، وتنتقل بين الاستحسان والوجوب، وذلك بحسب كون التأكيد إما لنفي الشك، أو لنفي الإنكار، أو لمجرد توكيد النسبة بين الطرفين، وذلك يتعلق بحال المخاطب ومستوى العلم بالحكم أو النسبة عنده، يقول صاحب التصريح: ""إن" المكسورة، و"أن" المفتوحة، "وهما لتوكيد النسبة "بين الجزأين، "ونفي الشك عنها، و "نفي "الإنكار لها"، بحسب العلم بالنسبة والتردد فيها، والإنكار لها، فإن كان المخاطب عالمًا بالنسبة، فهما لمجرد توكيد النسبة؛ وإذا كان مترددًا فيها، فهما لنفي الشك عنها وإن كان منكرًا لها، فهما لنفي الإنكار لها، فالتوكيد لنفي الشك عنها مستحسن، ولنفي الإنكار واجب، ولغيرهما لا"[4].

---

(1) – معاني النحو (261/1).

(2) – دلائل الإعجاز للإمام عبدالقاهر الجرجاني ت: 471هـ – تحقيق: محمود محمد شاكر – الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة – الطبعة: الثالثة 1413هـ – 1992م ص 325.

(3) – شرح المفصل (526/4).

(4) – شرح التصريح على التوضيح (294/1).

وعلى الرغم من كونهما للتأكيد إلا أن معنى الجملة معهما مختلف، فالجملة مع "إن" المكسورة تستقل بفائدتها، وذلك بخلاف التأكيد بـ "أن" مفتوحة الهمزة فهي في حكم المفرد، أو كما قال ابن يعيش: "أنَّ "المفتوحة تفيد معنى التأكيد كالمكسورة، إلَّا أن المكسورة الجملة معها على استقلالها بفائدتها، ولذلك يحسن السكوت عليها؛ لأن الجملة عبارةٌ عن كلّ كلام تامّ قائم بنفسه مفيدٍ لمعناه، فلا فرق بين قولك" :إنّ زيدًا قائمٌ"، وبين قولك" :زيدٌ قائمٌ "إلَّا معنى التأكيد؛ ويؤيّد عندك أن الجملة بعد دخول "إنَّ "عليها على استقلالهما بفائدتها، أنّها تقع في الصلة كما كانت كذلك قبلُ، نحوَ قولك" :جاءني الذي إنّه عالمٌ. " وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ "[1]، وليست "أنَّ "المفتوحةُ كذلك، بل تقلب معنى الجملة إلى الإفراد، وتصير في مذهب المصدر المؤكَّد"[2]، وبناء على ذلك المعنى في الحرفين فدلالة التأكيد فيهما تختلف لاختلاف السياق والمرجو من الدلالة.

وفي سورة الحج وردت "إن، وأن" للتأكيد في مواضع عدة؛ وذلك في قوله تعالى: "كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ"[3]، وقوله تعالى: إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ " [4]، وقوله تعالى: " وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ "[5].

(1) – سورة: القصص، بعض آية: 76.

(2) – شرح المفصل (526/4).

(3) – سورة: الحج. آية: 4.

(4) – السورة نفسها: آية: 17.

(5) – السورة نفسها: آية: 39.

ففي الموضع الأول في قوله تعالى: " كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ "، وموضع التأكيد هنا في "أن" الثانية في قوله: " فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ " حيث تكررت "أن" للتأكيد، كما يقول الزجاج: " وحقيقة "أن" الثانية أنها مكررة مع الأولى على جهة التوكيد، لأن المعنى كتب عليه أنه من تولاه أضله"[1]، وهو من المواضع التي يجوز كسر الهمزة فيها وفتحها، ولكنها مع فتح همزتها في حكم المفرد، فتؤول بمعطوف على فاعل "كتب" في موقع الجزاء، فيكون إضلال الشيطان متوقفا على اتخاذه وليا من دون الله، أما مع الكسر؛ فيكون جزاء لا غير؛ فيكون الإضلال مكتوبا على متوليه كما قال الزجاج: " فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ " ، عطف عليه، وموضعه رفع أيضا، والفاء الأجود فيها أن تكون في معنى الجزاء، وجائز كسر إن مع الفاء، ويكون جزاء لا غير؛ والتأويل: كتب عليه أي: على الشيطان إضلال متوليه وهدايتهم إلى عذاب السعير"[2]، فكان الأجود فتح الهمزة، لترتب الإضلال على التولية، فمن خرج من هذه التولية؛ فهو أقرب إلى عفو ربه، وهدايته وخروجه من ضلاله، وذلك بخلاف من ترتب إضلاله على اتخاذ الشيطان وليا من دون الله – سبحانه – فيُترك مع وليه حتى يهديه إلى عذاب السعير.

ويجوز أن يكون المعنى مع كسر همزة "إن" على حكاية المكتوب، وذلك في قولهم: " ومن كسر فعلى حكاية المكتوب كما هو، كأنما كتب عليه هذا الكلام، كما تقول: كتبت: " إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ "[3] أو على تقدير: قيل، أو على أن كتب فيه

---

(1) – معاني القرآن وإعرابه للزجاج ت: 311هـ – تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي – الناشر: عالم الكتب – بيروت – الطبعة: الأولى 1408 هـ – 1988 م (411/3).

(2) – نفسه (411/3).

(3) – سورة: لقمان، آية: 26.

معنى القول"[1]، فكأن هذا الذي اتخذ الشيطان وليا مرقوم على وجهه هذا الكلام؛ فيكون علامة عليه وخزيا، وعلى هذا: الكلام المكتوب على هذا الضال على درجة واحدة من غير ترتب إضلال الشيطان له على اتخاذه وليا، ولما كان صاحب هذا الضلال يجادل في الله بغير علم، ويتبع في ذلك كل شيطان مريد كما شهد بذلك السياق القبلي للآية في قوله: وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ "[2] كان الأعلى أن يكون ضلاله مرتبا على اتخاذه الشيطان وليا؛ فخرج بهذه الولاية من رحمة الله وعفوه، فالأجود هنا فتح همزة "أن" – والله أعلم –؛ أما الغرض من التوكيد هنا فهو نفي الإنكار عن المخاطب؛ لكونه يدعي خلافه، ويعقد قبله على نفي ما قد ثبت، ويظهر هذا في فعل المخاطب؛ حيث يتبع كل شيطان، ويتخذه وليا من دون الله – سبحانه – فهو قد عقد قلبه على كون هذا الشيطان يهديه ولا يضله؛ فهو بداية قد بلغ من بُعده عن منهج الحق – سبحانه – أن جادل في الله بغير علم، واتبع في ذلك هدي كل شيطان، بل هدي المردة من الشياطين، حتى صار هذا الشيطان وليا له من دون الله – سبحانه – فهو في كل ذلك يعتقد الهدى والرشاد فيما يفعل، ولا يتطرق إلى قلبه الشك فيما يصنع، فكان أحوج إلى التأكيد في كونه يضله؛ فكان مجيء "أن" واجبا، أو كما قال الشيخ عبدالقاهر: "وإنما تحتاج إليها إذا كان له ظن في الخلاف، وعقْد قلب على نفي ما أثبت أو إثبات ما تنفي"[3]، فالحاجة هنا إليها أشد؛ فازداد موقعها حسنا.

---

(1) – الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري ت: 538هـ – الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة: الثالثة – 1407 هـ (144/3)، ومفاتيح الغيب للرازي ت: 606هـ – الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة: الثالثة – 1420 هـ (203/23).

(2) – سورة: الحج. آية: 3.

(3) – دلائل الإعجاز ص 352.

أما "إن" مكسورة الهمزة؛ فيكثر بها الدلالة على التأكيد، وذلك كما في الموضع الثاني في قوله تعالى: " إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ " وموضع التأكيد في الآية الكريمة جاء في قوله: " إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ " حيث تكررت "إن" في صدر جملة الخبر لغرض التأكيد، وذلك بسبب الطول بين جملة المبتدأ وجملة الخبر يقول الشيخ الطاهر بن عاشور: "أعيدت "إن" في صدر الجملة الواقعة خبرا عن اسم "إن" الأولى توكيدا لفظيا للخبر لطول الفصل بين اسم "إن" وخبرها، وكون خبرها جملة وهو توكيد حسن بسبب طول الفصل"[1]، وعلى ذلك تكون "إن" للتأكيد على لصوق الخبر بالمبتدأ، ولما كانت جملتا المبتدأ والخبر مصدرتين بـ "إن" مكسورة الهمزة اختلف معنى "إن" في كل من الجملتين؛ فإن كانت الأولى للتأكيد، فالثانية جاءت لزيادة ذلك التأكيد كما قال الزمخشري: " وأدخلت إن على كل واحد من جزأي الجملة لزيادة التوكيد"[2]، وإن كانت الأولى للاستئناف البياني فالثانية للتأكيد، وهذا الموضع أخص بـ "إن" مكسورة الهمزة للفصل بين جزأي الجملة من مبتدأ وخبر، إذ لو صدرت جملة الخبر بـ "أن" مفتوحة الهمزة لم يصح لسببين، أولهما: لكانت "أن" وما دخلت عليه في تأويل مفرد، والخبر هنا جملة وليس مفردا، ثانيهما: لكان مدخول "أن" جزءا من الجملة السابقة عليها؛ فلم تكن الجملة الثانية خبرا عن الأولى، فوجب أن تصدر الجملة الواقعة في محل الخبر بـ"إن" مكسورة الهمزة، وهي هنا للتأكيد.

أما موجب التأكيد فهي لنفي الشك؛ لكون المخاطب مترددا في النسبة بين طرفي الجملة، وذلك بدليل قوله تعالى في السياق القبلي: " مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى

---

(1) – التحرير والتنوير للشيخ الطاهر بن عاشور – الناشر: الدار التونسية للنشر –الطبعة: بدون عام: 1938م (17/ 224 وما بعدها).

(2) – الكشاف (3/ 148).

ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ "[1]، فالمخاطب هنا يتخلله الظن والشك، فهو متردد في الخبر بسبب هذا الظن، فجاءت "إن" لنفي هذا الشك، ومما يدل على كون المقام مقام شك وتردد؛ مجيء جزء الجملة من المسند إليه والتي صدرت بـ"إن" للاستئناف البياني =مجيبة عن سؤال أثاره الكلام السابق، كما قال البقاعي – رحمه الله – "ولما كان ذلك موجبا للسؤال، عن حال الفريقين: المهدي والضال، أجاب عن ذلك ببيان جميع فرق الضلال، لأن لهذه السورة أتم نظر إلى يوم الجمع الذي هو مقصود السورة التي قبلها، فقصد إلى استيعاب الفرق تصويرا لذلك اليوم بأليق صورة، وقرن بكل من فريقي أهل الكتاب موافقة في معناه فقال: " إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ " أي: من أي فرقة كانوا، وعبر بالفعل ليشمل الإقرار باللسان، الذي هو أدنى وجوه الإيمان"[2]، ولما كان السائل مترددا أو شاكا في النسبة بين المبتدأ والخبر جاءت "إن" لنفي ذلك الشك وهذا التردد، فكان حكم التأكيد بها هنا مستحسنا؛ وذلك لإزالة التردد عن السائل، ونفي الشك الذي خامر قلبه، في هذا الموضع من السورة.

كما في الموضع التالي في قوله تعالى: "وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ" والذي جاء التوكيد فيه بـ "إن" مكسورة الهمزة، ويمتنع في هذا الموضع مجيء "أن" مفتوحة الهمزة؛ لدخول لام التأكيد على خبرها التي لا يجوز اجتماعها من "أن" مفتوحة الهمزة كما قال الزجاج: "ولا يجوز أن يقرأ و"أن" الله – بفتح أن، ولا بين أهل اللغة خلاف في أن هذا لا يجوز لأن "أن" إذا كانت معها اللام لم تفتح أبدا"[3]، فهذا من مواضع التأكيد في السورة الذي يختص بـ "إن" مكسورة الهمزة؛ وذلك للتأكيد على مضمون الجملة.

---

(1) – سورة: الحج. آية: 15.

(2) – نظم الدرر (13/ 23).

(3) – معاني القرآن وإعرابه (430/3).

أما موجب التوكيد وغرضه فهو – والله أعلم – من باب تنزيل غير المنكر منزلة المنكر؛ وذلك لاجتماع أكثر من مؤكد في الآية الكريمة بالإضافة إلى "إنّ" من: اللام، واسمية الجملة، والمؤمنون لا يشكّون أبدا في قدرة الله – سبحانه – على نصرهم؛ ولكنهم استبطأوا هذا النصر، فكأنما ظهرت عليهم بعض علامات الإنكار بهذا الاستبطاء؛ فنُزّلوا منزلة المنكر؛ فوجب لهم التوكيد، وذلك لأن الآية جاءت تعقيبا على الإذن في قتال المشركين، وذلك في قوله تعالى: " أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ " كان مشركو مكة يؤذونهم أذى شديدا، وكانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين مضروب ومشجوج يتظلمون إليه، فيقول لهم: اصبروا فإني لم أومر بالقتال، حتى هاجر فأنزلت هذه الآية، وهي أول آية أذن فيها بالقتال بعد ما نهى عنه في نيف وسبعين"[1]؛ فإما استبطأوا النصر لطول مدة طلب الإذن في القتال؛ فيكون الاستبطاء قبل الإذن بالقتال، وإما استبعدوا النصر لشعورهم بالضعف أمام الكفار والمشركين؛ فيكون الاستبطاء بعد الإذن في القتال، فهو من باب استبعاد النصر بعد قياس قوة الفريقين، والأخذ بالأسباب الدنيوية البشرية؛ فنُزّلوا منزلة المنكر لاستبعاد هذا النصر؛ فأبلغ لهم في التأكيد، كما قال البقاعي – رحمه الله – : " وأبلغ لهم في التأكيد لاستبعاد النصرة إذ ذاك بالكفار من الكثرة والقوة، وللمؤمنين من الضعف والقلة"[2].

---

(1) – الكشاف (160/3).

(2) – نظم الدرر (56/13).

المبحث الثاني

التعليل بين "إنّ، وأنّ":

مما يشترك فيه حرفا التوكيد "إنّ، أنّ" من المعاني: التعليل، ولكن دلالة التعليل تختلف فيما بينهما، وذلك تبعا لموقع كل من الحرفين في الجملة الواقع فيها التعليل، ويختلف التعليل عن السببية في حرفي التوكيد تبعا للفرق بين العلة والسبب، فالفرق بينهما "أن العلة ما يتأخر عن المعلول ... ويوجد بعدها ... والسبب لا يتأخر عن مسببه على وجه من الوجوه"[1] فلما كان الكلام مع "أن" مفتوحة الهمزة كلاما واحدا، وكانت هي بمثابة الجزء من الجملة، إذ تؤول بما دخلت عليه فتكون في موضع المرفوع، أو المنصوب، أو المجرور ارتبط التعليل بما دخلت عليها، وما كانت فيه علة، بما قبلها وما كانت علة له؛ فهما جملة واحدة؛ فكان التعليل بها محضا، وذلك بخلاف "إنّ" مكسورة الهمزة من حيث إنها لا تؤول وما دخلت عليه بمفرد؛ فتستقل بما دخلت جملة عن الكلام السابق عنها، فهما جملتان.

وعلى ذلك "فإن التعليل بـ "إنّ" لا يماثل التعليل بـ "أنّ" فإن التعليل بأنّ المفتوحة إنما هو على إرادة اللام، قال سيبويه في "جئتك أنك تريد المعروف": أي لأنك تريد المعروف، فالتعليل ههنا مقيد بعامله مقصور عليه، أي إنما حصل هذا لهذا، بخلاف التعليل بإنّ المكسورة؛ فإنه تعليل واسع وحكم عام مستأنف غير مقيد بعامل"[2].

فالفرق بين التعليل بـ "أن" مفتوحة الهمزة، وبين "إن" مكسورة الهمزة متفرع عن الخصائص التركيبية في جملة كل منهما، فمثلا "إذا وقعت "إن" في موقع التعليل جاز فيها فتح همزتها وكسرها؛ الفتح على تقدير لام العلة محذوفة، والكسر على أن

---

(1) – الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ت: 395هـ – تحقيق: محمد إبراهيم سليم – الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر – الطبعة: بدون ص 73.

(2) – معاني النحو (267/1).

التعليل بجملة "إن""[1] وعلى كلام الشيخ: عضيمة يكون موضع التعليل من مواضع جواز كسر همزة "إن" وفتحها، ولكن الدلالة تختلف بين الفتح والكسر لهمزتها، فكونها مع "أن" مفتوحة الهمزة على تقدير حذف لام العلة؛ فتكون العلة جزءا من الكلام السابق، فيتوقف مضمون الكلام السابق على هذه العلة، أما مع "إن" مكسورة الهمزة فالتعليل بمضمون الجملة؛ فمضمون الجملة حاصل في كونها علة، ومن غير كونها علة، كما قالوا في قوله تعالى: " وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ "[2] "إنما كسرت الهمزة؛ لأنه أراد الإعلام بحاله، وهو أبلغ من الفتح؛ لأنه إذا فتح صار التقدير: لا تتبعوه لأنه عدو لكم، واتباعه ممنوع، وإن لم يكن عدوا لنا؛ ومثله "لبيك إن الحمد لك" كسر الهمزة أجود؛ لدلالة الكسر على استحقاقه الحمد في كل حال، وكذلك التلبية"[3]، فلما كان مضمون الجملة في الآية على كون الشيطان عدوا للناس أبدا، كان الأولى بالمقام كسر همزة" إن"، كذلك لما كان المولى – سبحانه – مستحقا للحمد في كل حال وعلى الدوام؛ كان كسر همزته أولى.

وقد جاء التعليل بـ "إنّ، وأنّ" في سورة الحج في قوله تعالى: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ "[4]، وقوله: "ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ " [5]، وقوله: " إِنَّ ٱللَّهَ

---

(1) – دراسات لأسلوب القرآن (512/1).

(2) – سورة: البقرة. آية: 168.

(3) – التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري ت: 616هـ – تحقيق: علي محمد البجاوي – الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه– الطبعة: بدون (139/1)، ودراسات لأسلوب القرآن (515/1)

(4) – سورة: الحج. آية: 1.

(5) – السورة نفسها: بعض آية: 6، 7.

عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ "[1]، وقولـــــه: " وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ "[2]، وقولـــــه: "إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ "[3]، وقوله: " إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ "[4]. وقوله: "وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدٗى مُّسۡتَقِيمٖ "[5]

فكان أول هذه المواضع ما جاء في مطلع السورة الكريمة في قوله تعالى: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ"، وكـان التعليـل فيهـا مـن نصـيب "إنّ" مكسورة الهمزة، فكان موقعها أحق بها من أختها مفتوحة الهمزة؛ لكونها وإن بينت علة الأمر بالتقوى في صدر الآية إلا أنها لا تعلق العلة بالأمر تعلق السبب بمسببه وجودا وعدما؛ فحصول الزلزلة أمر واقع لا مراء فيه، سواء حصّل الناس التقوى أم لا، ولكنهم في امتثالهم للأمر بالتقوى وقاية لهم من هذه الزلزلة وأهوالها؛ لكونه لما "أمر بنى آدم بالتقوى، ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها بأهول صفة، لينظروا إلى تلك الصفة ببصائرهم ويتصوروها بعقولهم، حتى يبقوا على أنفسهم ويرحموها من شدائد ذلك اليوم، بامتثال ما أمرهم به ربهم من التردي بلباس التقوى، الذي لا يؤمنهم من تلك الأفزاع إلا أن يتردوا به"[6]، فشدائد هذا اليوم حاصلة، وما فيه من فزع حاق بأهله، ولا يؤمن الناس من هذا الفزع إلا بهذه التقوى، وكما تكون التقوى لباسا يقي صاحبه من هول الفزع الأكبر، فهو يقيه من كل شر في الدنيا

---

(1) – سورة الحج: آية: 17.

(2) – السورة نفسها: آية: 18.

(3) – السورة نفسها: بعض آية:38.

(4) – السورة نفسها: آية:40.

(5) – السورة نفسها: آية:67.

(6) – الكشاف (3/ 141).

والآخرة، فلا يتوقف الامتثال للأمر بالتقوى على النجاة من زلزلة الساعة فقط، بل فيه نجاة من كل شر، لما في التقوى من أمر جامع لكل خير.

وعلى ذلك فالأمر بالتقوى يجوز أن يستقل بنفسه امتثالا لكون الرب العلي أحق أن يتقى، وأجدر أن يتقى، فمن أراد النجاة من غضبه، وعذابه عليه أن يتقيه، ومن أراد التمتع بنعيمه عليه أن يتقيه، لكون النجاة من عقابه تستلزم التنعم بجزيل ثوابه، فالأمر بالتقوى حكم عام لا يتوقف على علة واحدة كالترهيب من زلزلة الساعة وأهوالها، ومن هنا كان التعليل بـ "إنّ" مكسورة الهمزة، لكون حكم التعليل بها حكما عاما، والكلام معها على استقلال الجملتين في التعليل.

فكما كان الامتثال للأمر بالتقوى حكما عاما لا يتوقف على علة خاصة، كذلك حصول أهوال الساعة، حكم عام حاصل لا محالة، لا يتوقف على امتثالهم للأمر بالتقوى من عدمه، وإنما جعلت علة لهذا الأمر؛ لسبق التحذير منه في السياق القبلي من سورة الأنبياء، فجاء مطلع سورة الحج، بيانا ورحمة لمن أراد الأمان في هذا اليوم؛ لكونه "لما أمرهم بالتقوى: علل ذلك مرهبا لهم بقوله: " إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ " أي: التي تقدم التحذير منها في الأنبياء بدءا وختما وما بين ذلك، أي شدة اضطرابها وتحركها العنيف المزيل للأشياء عن مقارها إزالة عظيمة، بما يحصل فيهما من الأصوات المختلفة، والحركات المزعجة المتصلة، من النفخ في الصور، وبعثرة القبور، وما يتسبب عن ذلك من عجائب المقدور، وقت القيام، واشتداد الزحام"[1].

ومن بلاغة "إنّ" في هذا الموضع إلى جانب إفادتها التعليل مع استقلال دلالة الجملتين على كونهما حكما عاما، ربط الجملتين كأنهما قد أفرغا إفراغا واحدا، فلو سقطت "إنّ" لنبا أحدهما عن الأخر، وصار الكلام لا يأخذ بعضه بحجز بعض، وهذا بعض بلاغتها، وفي كونها تدخل أو لا تدخل كما قال الإمام عبدالقاهر: "وذلك أنه هل

---

(1) – نظم الدرر (13/ 3).

شيء أبين في الفائدة، وأدل على أن ليس سواء دخولها وأن لا تدخل، أنك ترى الجملة إذا هي دخلت ترتبط بما قبلها وتأتلف معه وتتحد به، حتى كأن الكلامين قد أفرغا إفراغا واحدا، وكأن أحدهما قد سبك في الآخر؟ هذه هي الصورة، حتى إذا جئت إلى "إنّ" فأسقطتها، رأيت الثاني منهما قد نبا عن الأول، وتجافى معناه عن معناه، ورأيته لا يتصل به ولا يكون منه بسبيل، حتى تجيء بالفاء"[1]، وهي مع الربط فالكلام على جملتين، وهذا يظهر من دقة كلام الشيخ في قوله: " وكأن أحدهما قد سبك في الآخر" على التشبيه والتقريب، ولكنهما في الواقع كلامان، وهذا ما جعل الناقدين الكبيرين: خلف الأحمر، وأبا عمرو بن العلاء ينكران على بشار قوله:

بكِّرَا صَاحِبَيَّ قَبْلَ الهَجِيرِ إنَّ ذَاكَ النَّجَاحَ فِي التَّبْكِيرِ [2]

زعما منهما انفكاك جهة الكلام، وانفصال الجملتين، وقد علل شاعرهما بناءه للبيت على كونه أعرابيا وحشيا، فهو إن كان في ظاهره مفصولا مستوحشا نابيا، إلا أن المتأمل يجده متحدا مؤتلفا، وهذا الضرب كثير في القرآن الكريم، ومنه موضع الشاهد في قوله تعالى: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ "، وهذا الموقع لـ "إنّ" في كونها للربط، وفي صحة وقوع الفاء موقعها، يكون في كلام علة لما قبله، ويحتج به عليه [3]، وعلى ذلك كان التعليل بـ "إنّ" مكسورة الهمزة؛ فإذا استخدمت "أنّ" مفتوحة الهمزة في التعليل، تعلق ذلك بمتطلبات السياق القبلي، والبعدي، والمقام الوارد فيه؛ ودلالة التعليل، وذلك كما في الموضع التالي في قوله

(1) – دلائل الإعجاز (1/ 316).

(2) – ديوان بشار بن برد – تحقيق: الشيخ الطاهر بن عاشور – ضبطه: محمد أمين شوقي – الناشر: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر 1376هـ – 1957م (203/3).

(3) – ينظر: دلائل الإعجاز ص 316، و323)، وخصائص التراكيب للدكتور: محمد محمد أبوموسى – الناشر: مكتبة وهبة – الطبعة: السابعة: بدون ص 85.

تعالى: " ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ "

فالسياق يضع هذا الموضع الذي وردت فيه "أنّ" مفتوحة الهمزة موضع النتائج من المقدمات، فما سبق الآيتين موضع الشاهد يمثل المقدمات لهذا الشاهد، لكونه – سبحانه – استحق لجلاله صدور الأمر منه للناس جميعا بالتقوى، كذلك لواسع علمه أخبرهم بأهوال الساعة ترهيبا وتخويفا وتحذيرا، كذلك لقدرته على بعثهم كما خلقهم من أطوار متعددة، وكل هذا يستلزم علة لبيان طلاقة هذه القدرة؛ لكونه "لما قرر سبحانه هذين الدليلين، رتب عليهما ما هو مطلوب والنتيجة فقال على طريق التعليل: "ذلك" أي الذي تقدم من الأمر بالتقوى، والترهيب من جلال الله بالحشر، والاستدلال عليه بالتصرف في تطوير الإنسان والنبات إلى ما في تضاعيفه من أنواع الحكم وأصناف اللطائف " بأن" أي بسبب أن تعلموا أن " الله" أي الجامع لأوصاف الكمال " هُوَ " أي وحده " الحق" أي الثابت أتم الثبات، بحيث يقتضي ذلك أنه يكون كل ما يريد، فإنه لا ثبات مع العجز " وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ " أي القادر على ذلك"[1].

وذلك على وجه من المذهب الكلامي كما قال ابن أبي الإصبع: " هو استنتاج النتيجة من مقدمتين، فإن أهل هذا العلم قد ذكروا أن من أول سورة الحج إلى قوله: " وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ " منطو على خمس نتائج من عشر مقدمات، فالمقدمات من أول السورة إلى قوله تعالى: " وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ " والنتائج من قوله تعالى: " ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ " إلى قوله: " وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ " وتفصيل ترتيب المقدمات والنتائج أن يقال: الله أخبر أن زلزلة الساعة شيء عظيم، وخبره هو الحق، وأخبر عن المغيب بالحق، فهو حق فاله هو الحق، والله يأتي بالساعة على

(1) – نظم الدرر (13/ 13).

تلك الصفات، ولا يعلم صدق الخبر إلا بإحياء الموتى؛ ليدركوا ذلك، ومن يأتي بالساعة يحيي الموتى فهو يحيي الموتى، وأخبر أن يجعل الناس من هول الساعة سكارى؛ لشدة العذاب، ولا يقدر على عموم الناس بشدة العذاب إلا من هو على كل شيء قدير، فالله على كل شيء قدير، وأخبر أن الساعة يجازي فيها من يجادل في الله بغير علم، ولا بد من مجازاته، ولا يجازي حتى تكون الساعة آتية، ولا تأتي الساعة حتى يبعث من في القبور، فهو يبعث من في القبور، وأن الله ينزل الماء على الأرض الهامدة فتنبت من كل زوج بهيج، والقادر على إحياء الأرض بعد موتها يبعث من في القبور، " ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ "[1].

فارتباط النتائج بالمقدمات لا يعدم أن يكون ارتباط علة بمعلولها، وسبب بمسببه، والتعليل بـ "أنّ" جعل مدخولها مرتبطا بما كان علة فيه، لا ينفك عنه، فهو مقيد بعامله، مقصور عليه، وقد مهد لهذا التقييد والارتباط باسم الإشارة "ذلك" بما أشار إليه من المعاني السابقة الثابتة في علمه، فأوجزت، وطوت كل ذلك عن طريق تعرف المسند إليه بالإشارة "ولولا اسم الإشارة، وما تميز به من شمول الدلالة لما أتيح للأسلوب هذا الإيجاز، والتركيز"[2]، وكما مهد اسم الإشارة لمدى ارتباط المقدمات بالنتائج، كذلك أبانت الإشارة إلى أن المستحق لما سبق الإشارة إليه جدير بما كان مسندا له بعد اسم الإشارة، فالمؤول من "أنّ" ومدخولها في موقع المسند من اسم الإشارة جدير بالوصف جلالا وثباتا؛ لكون "ما يترتب على تلك الأوصاف مسندا إلى

---

(1) – تحرير التحبير لابن أبي الإصبع ت: 654هـ – تحقيق: الدكتور حفني محمد شرف – الناشر: الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي – الطبعة: بدون ص 119 وما بعدها، والبرهان (469/3 وما بعدها).

(2) – خصائص التراكيب ص 208.

هذا الاسم، واسم الإشارة هذا يفيد أن ما يرد بعده، فالمشار إليه جدير به"[1]، وهذا من شدة ارتباط مدخول "أنّ" مفتوحة الهمزة بما كانت فيه علة وترتبها عليه.

ومع شدة هذا الارتباط بكونه الحق – سبحانه – الثابت العلم، والقدرة مقابل غيره ممن يدعون من الباطل، وكان من كمال صفات الحق لدنه – سبحانه وتعالى – ما عطف عليه بـ "أنّ" في قوله تعالى: "وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ "، وقد رجحت "أنّ" مفتوحة الهمزة دخول الآيتين في حيز السببية عن طريق الباء الداخلة على حرف التعليل الأول في قوله " بِأَنَّ ٱللَّهَ " وليس كلاما مستقلا منقطعا، عن السابق " بل إنَّما هُو في سببيتها لما مرَّ من خلقِ الإنسان وإحياء الأرض فتأمل وكن على الحق المبين "[2]، ومن دلائل تشابك الدلالة اتصال ضمير الشأن والقصة بحرف التوكيد "أنّ" في قوله: وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ " إشارة إلى ما مر من دلائل إحياء الموتى، وضرب المثل بإحياء النبات من الأرض الهامدة، وقياس إحياء الموتى على إحياء النبات؛ ولذا بنى مدخول "أنّ" على المضارعة لكون عملية الإحياء للأرض والنبات حاصلة لأعينهم، ماثلة في حالهم وترحالهم؛ فمن كانت هذه قصته وشأنه؛ فهو على كل شيء قدير، فعطف عليه بـ "أنّ" تعليلا قوله: " وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ".

فلما تقرر في علم الله – سبحانه – ذلك تأكد لدى المتردد مجيء الساعة، فعطف بالواو وصلا قوله تعالى: " وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ " لكونه من تمام قيامها بعثه – سبحانه – مَن في القبور للحساب، والفصل بين الناس، وهذا من تمام جلاله – سبحانه – بكونه الحق؛ وذلك " أنه لما أقام

---

(1) – خصائص التراكيب ص 206.

(2) – إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود ت: 982هـ – الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة: بدون (96/6).

الدلائل على أن الإعادة في نفسها ممكنة وأنه – سبحانه وتعالى – قادر على كل الممكنات وجب القطع بكونه قادرا على الإعادة في نفسها، وإذا ثبت الإمكان، والصادق أخبر عن وقوعه فلا بد من القطع بوقوعه "[1]، وهو مع القطع به لإخبار الله عنه، فهو أدعى للتدبر والتفكر؛ ليمتثل المرء لأمر – سبحانه – بالتقوى المنجية له من أهوال يوم القيامة.

فإن في بناء الآيات موضع الشاهد على التعليل، والسببية بالباء الداخلة على "أنّ" دعوة للتدبر والتفكر، وهذا مما تفارق فيه "أنّ" مفتوحة الهمزة أختها المكسورة، في أصل بنيتها، فـ "أنّ" تؤول مع مدخولها بمفرد في حكم المصدر "والمصدر معنى ذهني غير متشخص فـ "أنّ" على هذا تجعل الأمر معنويا ذهنيا"[2]؛ فهو أدعى للتدبر والتفكر، كما في قوله تعالى: "أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ" [3] وقوله: "أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ"[4]، وهذا الفرق بين حرفي التأكيد، ظاهر في التعليل هنا من كونه قياسًا غائبًا على شاهد، وتأكيدًا لمتردد في أمر البعث والساعة، ولا يحصل له كمال التصديق بقول الحق – سبحانه – إلا بالتدبر والتفكر، في آياته، وما ضرب مثلا وتمثيلا لذلك من سابق الآيات.

أما في الموضع التالي في قوله تعالى: إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ " حيث جاء التعليل بـ "إن" مكسورة الهمزة، لمضمون الجملة السابقة من المسند إليه والمسند في قوله: " إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ

(1) – مفاتيح الغيب (205/23).
(2) – معاني النحو (1/ 270).
(3) – سورة: إبراهيم. بعض آية:19.
(4) – سورة: الحج. بعض آية:65.

وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ " لتكون علة الفصل بين أصحاب هذه العقائد كونه – سبحانه – " عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ " لاستلزام هذا الفصل هذه الصفة من طلاقة القدرة في شهادته – سبحانه – على كل شيء، فمن كانت هذه صفته، كان أهون عليه الفصل بين أصحاب هذه العقائد وتميزهم؛ وهذا من صفات كماله، وإحاطة علمه بكل شيء، حيث يفصل بين أصحاب هذه العقائد يوم القيامة "فيجازي كلا بعمله على ما يقتضيه في مجاري عاداتكم، ويقتص لبعضهم من بعض، ويميز الخبيث منهم من الطيب، ثم علل ذلك بقوله: " إِنَّ اللَّهَ " أي الجامع لجميع صفات الكمال " عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ" من الأشياء كلها "شَهِيدٌ" فلا شيء إلا وهو به عليم، فهو لذلك على كل شيء قدير"[1].

وهذا التعليل بمضمون الجملة مستفاد من دخول "إن" مكسورة الهمزة دون أختها؛ لكون إحاطة الله – سبحانه – بكل شيء شهادة وعلما لا يتوقف فقط على الفصل بين أصحاب هذه العقائد وتميزيهم، بل هو علم أبدي سرمدي؛ فهو شهيد على كل في كل حال، وصح كون هذه الجملة تعليلا لأنه " زيد في هذه السورة ذكر المجوس والمشركين؛ لأن هذه الآية مسوقة لبيان التفويض إلى الله في الحكم بين أهل الملل، فالمجوس والمشركون ليسوا من أهل الإيمان بالله واليوم الآخر"[2]، وهذا يستلزم إحاطته بهم علما إحاطة الشهيد بما يعلم بشهادته، خبيرا بما تطويه نفوسهم، فاضحا لعقائدهم الباطلة، مميزا بينهم وبين أهل الإيمان، وقد نقل البقاعي – رحمه الله – عن الحرالي قوله في ذلك: " وقال الحرالي في شرح الأسماء الحسنى: الشهادة رؤية خبرة بطية الشيء ودخلته ممن له غنى في أمره، فلا شهادة إلا بخبرة وغنى ممن له اعتدال في نفسه بأن لا يحيف على غيره، فيكون ميزان عدل بينه وبين غيره، فيحق

---

(1) – نظم الدرر (13/ 24).

(2) – التحرير والتنوير (223/17).

له أن يكون ميزانا بين كل متداعيين ممن يحيط بخبرة أمرهما " وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا "[1] وبحسب إحاطة علم الشهيد ترهب شهادته، ولذلك أرهب شهادة: شهادة الله على خلقه " قلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ "[2] ولما كان أيما الإحاطة والخبرة والرقبة لله كان بالحقيقة لا شهيد إلا هو – انتهي"[3]، فكانت هذه الشهادة بهذه الصفة علة للحكم المستفاد من طرفي الإسناد السابق؛ لاقتضاء الفصل الاطلاع على دقائق وخبايا ومكنون صدور كل طائفة منهم؛ فلما كان – سبحانه – في كل أمره شهيدا على كل شيء؛ جاء التعليل بـ "إن" مكسورة الهمزة.

وذلك كما في الموضع التالي في قوله تعالى: " وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ " حيث جاء التعليل بـ "إن" مكسورة الهمزة، فكان التعليل بمضمون الجملة؛ لكون التعليل علة لما جاء ختاما له من معنى، وعلة لغيره على الدوام، والمعلول له في الآية مستفاد من جملة الشرط في قوله تعالى: "وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ " والآية واردة في مقام طلاقة القدرة لله – عز وجل – فكونه – سبحانه – يفعل ما يشاء على التأبيد حالا ومستقبلا في كل أمر علة لنفي الإكرام نفيا مؤبدا عن كل من شاء الله إهانته، وكون جملة التعليل تصلح علة لغير ما وردت فيه لتصدرها بـ "إن" مكسورة الهمزة؛ لطلاقة قدرته في كونه يفعل ما يشاء مطلقا، وللإشعار بالتهديد لكل من يحيد عن منهج الله، أو يظن أن له ملجأ من الله دونه، أو مكرمًا له سواه إن هو اهتدى، وامتثل مع من امتثل، وأشار – سبحانه إلى هذا

---

(1) – سورة: البقرة. آية:143.

(2) – سورة: الأنعام. بعض آية:19.

(3) – نظم الدرر (13/ 24).

الامتثال بالسجود وذلك في سياق الآية القريب في قوله: " أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ ".

والسجود في الآية سجودان: سجود إرادة من الله، يشمل من في السموات، ومن في الأرض، والشمس، والقمر، والنجوم، والشجر، والدواب؛ وسجود أمر للمكلفين؛ فكثير منهم امتثل، وكثير حق عليه العذاب بترك الامتثال "ولما علم بهذا أن الكل جارون مع الإرادة منقادون أتم انقياد تحت طوع المشيئة، وأنه إنما جعل الآمر والنهي للمكلفين سببا لإسعاد السعيد منهم وإشقاء الشقي؛ لإقامة الحجة عليهم على ما يتعارفون من أحوالهم فيما بينهم، كان المعنى: فمن يكرم الله بتوفيقه لامتثال أمره فما له من مهين، فعطف عليه: " وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ " أي الذي له الأمر كله بمنابذة أمره "فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ" لأنه لا قدرة لغيره أصلا، ولعله إنما ذكره وطوى الأول؛ لأن السياق لإظهار القدرة، وإظهارها في الإهانة أتم، مع أن أصل السياق للتهديد؛ ثم علل أن الفعل له لا لغيره بقوله: "إِنَّ ٱللَّهَ" أي الملك الأعظم "يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ" أي كله، فلو جاز أن يمانعه غيره، ولو لحظة لم يكن فاعلا لما يشاء، فصح لا فعل لغيره"[1].

وقد محضت الجملة المصدرة بـ"إن" للتعليل لغياب المنكر أو ما يستوجب التأكيد، حيث جاء التعليل بمضمون الجملة للمبالغة في الإشعار بالتهديد؛ لكونه – سبحانه – بعد ذكر أصناف من يمتثلون للسجود أو ينقادون له اعترض الكلام ببيان جزاء من يأبى الامتثال، أو الانقياد، ثم اعترض مرة أخرى بالجملة الشرطية للترقي في التهديد في شأن من رفض الامتثال؛ حيث وقع في دركات الإهانة، وهو بتلك الإهانة يفقد كل نصير أو مكرم؛ لأنه لا يحدث في كون الله إلا ما يشاء الله، يقول الشيخ الطاهر بن

(1) – نظم الدرر (13/ 27).

عاشور: "وجملة وكثير حق عليه العذاب معترضة بالواو، وجملة حق عليه العذاب مكنى بها عن ترك السجود لله، أي حق عليهم العذاب لأنهم لم يسجدوا لله، وقد قضى الله في حكمه استحقاق المشرك لعذاب النار؛ فالذين أشركوا بالله وأعرضوا عن إفراده بالعبادة قد حق عليهم العذاب بما قضى الله به وأنذرهم به، وجملة ومن يهن الله فما له من مكرم اعتراض ثان بالواو، والمعنى :أن الله أهانهم باستحقاق العذاب فلا يجدون من يكرمهم بالنصر أو بالشفاعة، وجملة إن الله يفعل ما يشاء في محل العلة للجملتين المعترضتين لأن وجود حرف التوكيد في أول الجملة مع عدم المنكر يمحض حرف التوكيد إلى إفادة الاهتمام فنشأ من ذلك معنى السببية والتعليل، فتغني "إن" غناء حرف التعليل أو السببية"(1)؛ فتتمحض الجملة المصدرة بـ"إن" للتعليل من خلال مضمون الجملة الداخلة عليها في هذا الموضع.

أما في الموضع التالي في قوله تعالى: "إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ" والتعليل هنا بمضمون الجملة المصدرة بـ"إن" حيث جاءت علة للجملة السابقة في قوله تعالى: "إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ" فأصبحت العلة في تولي الله – سبحانه – الدفاع عن الذين آمنوا هي بغضه – سبحانه – كل خوان كفور، لما في هذا من البشرى للذين آمنوا، أو لِما كانت هذه صفته " فكأنه قال: بشرهم بأن الله يدفع عنهم، ولكنه تعالى أظهر الأوصاف ليفهم أنها مناط الأحكام والتعبير، فعبر بالفعل الماضي ترغيبا، أي لكل من أوقع هذا الوصف في الخارج إيقاعا ما دفع عنه؛ ثم علل ذلك بقوله: "إِنَّ اللَّهَ" أي الذي له صفات الكمال " لَا يُحِبُّ " أي لا يكرم كما يفعل المحب "كُلَّ خَوَّانٍ " في أمانته، مانع لعباده من بيته الذي هو للناس سواء العاكف فيه والباد " كَفُورٍ" لنعمته بالتقرب إلى غيره"(2).

---

(1) – التحرير والتنوير (227/17).

(2) – نظم الدرر (13/ 55).

واختصاص "إن" مكسورة الهمزة بالتعليل في هذا الموضع دون أختها مفتوحة الهمزة يطلق مضمون الجملة دون ارتباط بالمعلول، وإن كانت جملتها علة له، فسبحانه يكره ويبغض كل خوان كفور على كل حال، وفي مدافعته عن الذين آمنوا، ففي توليه الدفاع عن الذين إنما يكون ضد كل خوان كفور، لاستلزام الدفاع وجود الضد الذي يُدافَع، وهو في هذه الحالة من يخالفون المؤمنين في صفاتهم، فهم كل خوان كفور.

وفي كونه علة على كل حال، فبغض الله – سبحانه – لكل خوان كفور يستلزم حبه وتقريبه للذين آمنوا، وذلك بطريق المخالفة، لكون هذا الخوان الذي يشكر غير الله ويتقرب إليه ظنا منه أنه ينفعه، والله – سبحانه – هو خالقه ورازقه، وهو يكفر بنعمة الله عليه؛ حيث يتعرض لنعم الله ويعبد غيره، ويشكر سواه؛ فهو أولى ببعده عن إكرام الله له، دون توقف التعليل على دفاع الله – سبحانه – عن الذين آمنوا؛ ولذا كان الأعلى في التعليل دخول "إن" مكسورة الهمزة في هذا الموضع.

أما في الموضع التالي في قوله تعالى: "إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ" حيث جاء التعليل بمضمون الجملة المصدرة بـ"إن" مكسورة الهمزة، وذلك لإرادة إطلاق التعليل من التقييد بالجملة السابقة؛ فهذه الجملة وإن كانت علة للجملة السابقة في قوله تعالى: "وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ" لعزة، وذلك على كل حال؛ إلا أنه لما أقسم بنصرة من ينصره سابقا، أتبع ذلك بعلة صفات القدرة على النصر من القوة والعزة؛ وذلك تثبيتا لقلوب المؤمنين بتحقق النصر لهم من الله إذا اتبعوا منهجه، ونصروا دينه ونبيه؛ فهو ناصرهم إذا حققوا ذلك النصر لله، ومجيء صلة الموصول في قوله: " يَنصُرُهُ " أمر عام في كل من يحقق هذه الصفة يدل على عموم العلة في جملة التعليل، وصلاحيتها لكل من حقق هذه الصفة في المعلول فسبحانه ينصره "كائنا من كان منهم ومن غيرهم، بما يهيئ له من الأسباب، إجراء له على الأمر المعتاد، وبغير أسباب خرقا للعادة ... ثم علل نصره وإن ضعف المنصور، بقوله: " إِنَّ اللَّهَ " أي الذي لا كفوء له " لَقَوِيٌّ " أي على ما يريد " عَزِيزٌ " لا يقدر أحد على مغالبته، ومن

كان ناصره فهو المنصور، وعدوه المقهور، ولقد صدق سبحانه فيما وعد به، فأذل بأنصار دينه رضي الله عنهم – جبابرة أهل الأرض وملوكهم، ومن أصدق من الله حديثا"[1]، فسبحانه ولي المؤمنين وناصرهم؛ وعلى هذا كانت دلالة التعليل في الموضع، واختصاصه بـ "إن" مكسورة الهمزة دون أختها مفتوحة الهمزة، في هذا الموضع.

أما الموضع التالي في قوله تعالى: "وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسۡتَقِيمٖ" حيث جاء التعليل بـ "إن" مكسورة الهمزة، وذلك في قوله: "إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسۡتَقِيمٖ" حيث جاء علة للأمر السابق في قوله: "وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ" حيث أمر الله – سبحانه – لنبيه صلى الله عليه وسلم بدوام الدعوة إلى الله، والثبات على هذه الدعوة؛ لكونه مؤيدا من الله بكونه على هدى مستقيم، فقوله: "وَٱدۡعُ" أمر من الله – عز وجل – " أي: أوقع الدعوة لجميع الخلق "إِلَىٰ رَبِّكَ" أي المحسن إليك بإرسالك، بالحمل على كل ما أمرك به متى ما أمرك، ولا يهولنك قولهم، فإنهم مغلوبون لا محالة، ولا تتأمل عاقبة من العواقب، بل أقدم على الأمر وإن ظن أن فيه الهلاك، فإنه ليس عليك إلا ذلك، وأما نظم الأمور على نهج السداد في إظهار الدين، وقهر المعاندين، فإلى الذي أمرك بتلك الأوامر، وأحكم الشأن في جميع الزواجر؛ ثم علل ذلك بقوله: "إِنَّكَ" مؤكدا له بحسب ما عندهم من الإنكار "لَعَلَىٰ هُدًى مُّسۡتَقِيمٖ" فإنه تأصيل العليم القدير وإن طرقه التغيير"[2]، فجمع في هذا الموضع بين التعليل بـ"إن" وبين إرادة التوكيد، ردا على المنكرين من الكفار والمشركين، وتعريضا بهم لبعدهم عن سبيل الهدى، والطريق المستقيم؛ فهم منغمسون في الضلال الذي بعُد بهم عن الاستقامة.

والتعليل بـ"إن" مكسورة الهمزة هنا في هذا الموضع وإن كان جاء في جواب الطلب المتمثل في الأمر بالثبات على الدعوة إلى الله – سبحانه – إلا أنه تعليل بمضمون الجملة وعلى كل حال دون تقييد بهذه الدعوة، فالنبي صلى الله عليه وسلم على هدى مستقيم من

---

(1) – نظم الدرر (13/ 59 وما بعدها).

(2) – نفسه (13/ 90).

الله في كل حال، في حال دعوته إلى الخلق وفي صمته، وفي غيرهما، فالهدى والاستقامة لا يفارقانه، فقد أُيد بهما من الله، وهذا من كمال إنعامه – سبحانه وتعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم.

وقد أفادت "إن" في هذا الموضع إلى جانب التعليل والتوكيد – وإن كان التعليل نوعا من التأكيد كما جاء في الاتقان في تعداد معاني "إن" مكسورة الهمزة، وذلك في قوله: "والثاني :التعليل، أثبته ابن جني وأهل البيان، ومثلوه بنحو: " وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ "[1]، "وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ "[2]، "وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ "[3]، وهو نوع من التأكيد"[4] الربط بين الجملتين كأنهما أفرغتا إفراغا واحدا، حتى قال عنها الشيخ عبدالقاهر قبل أن يورد هذه الآيات شواهد على كلامه: "أنك ترى الجملة إذا هي دخلت ترتبط بما قبلها وتأتلف معه وتتحد به، حتى كأن الكلامين قد أفرغا إفراغا واحدا، وكأن أحدهما قد سبك في الآخر" [5]، فإذا الجملتان مفصولتان موصولتان؛ وإذا جملة العلة والمعلول كلاما واحدا، وهذا من خصائص التعليل بـ "إن" مكسورة الهمزة في هذا الموضع؛ فإلى جانب التعليل ربطت بين الجملتين قال الشيخ الطاهر بن عاشور: "وجملة إنك لعلى هدى مستقيم تعليل للدوام على الدعوة وأنها قائمة مقام فاء التعليل"[6] وكأنها تشبه الفاء من عدة وجوه: الربط بين الجملتين، والتعليل، والسببية.

---

(1) – سورة: المزمل. آية:20.

(2) – سورة: التوبة. آية:103.

(3) – سورة: يوسف. آية:53.

(4) – الإتقان للسيوطي ت: 911هـ – تحقيق: حمد أبو الفضل إبراهيم – الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – الطبعة: ١٣٩٤ هـ/ ١٩٧٤ م (206/2).

(5) – دلائل الإعجاز ص 316.

(6) – التحرير والتنوير (330/17).

المبحث الثالث

السببية بين "أنّ"، و"إنّ":

يشترك حرفا التوكيد في إفادة معنى السببية، ولكنهما يختلفان في دلالة معنى هذه السببية، وذلك تبعا لموقع أحد الحرفين من الجملة، والفرق بين السبب والعلة هو أن "السبب قد يتأخر عنه حكمه وقد يتخلف، ولا يتصور التأخر والتخلف في العلة"[1] فلما كانت "أنّ" مفتوحة الهمزة لا تقع في الابتداء، ولها فضل تعلق بما قبلها من الكلام، كذلك تؤول وما دخلت عليه بمفرد، وهو تابع في موقعه وإعرابه لما قبله لهذا اختلف معها معنى السببية عن أختها مكسورة الهمزة، التي تقع في الابتداء، فتستقل بجملتها، كذلك لا تقع معمولة؛ لعدم تأويلها مع مدخولها بمفرد، قال سيبويه: "تقول: ذلك وأنّ لك عندي ما أحببت، وقال الله عز وجل: "ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ "[2]، " ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ " [3]؛ وذلك لأنها شركت ذلك فيما حمل عليه، كأنه قال: الأمر ذلك وأن الله؛ ولو جاءت مبتدأةً لجازت، يدلك على ذلك قوله عزَّ وجل: "ذَٰلِكَ ۖ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ" [4] فمن ليس محمولاً على ما حمل عليه ذلك فكذلك يجوز أن يكون إنّ منقطعةً من ذلك ... فهذا لا يكون إلا مستأنفاً غير محمول على ما حمل عليه

---

(1) – العلة عند الأصوليين في إظهار الحكم الرعي في مسائل فقهية معاصرة للدكتور/ معاذ إبراهيم سالم خليفات – الناشر: الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان – الأردن – الطبعة: الأولى 1435هـ/ 2014م ص 55.

(2) – سورة: الأنفال. آية:18.

(3) – السورة نفسها. آية:14.

(4) – سورة: الحج. بعض آية:60.

ذاك؛ فهذا أيضاً يقوي ابتداء إنّ في الأول"[1]، وعلى ذلك فالفارق الجوهري بين "أنّ" مفتوحة الهمزة، و"إنّ" مكسورة الهمزة هو: شدة ارتباط مدخول "أنّ" بما قبلها، على غير حالة "إنّ" مع مدخولها، وما قبلها، فهي تستقل بمدخولها؛ أما في إفادتها السببية، فسيبويه صرح على كون دلالة السببية مع "أنّ" مفتوحة الهمزة على إرادة الباء أو اللام، وذلك في قوله: "تقول: جئتك أنك تريد المعروف، إنَّما أراد: جئتك لأنك تريد المعروف، ولكنك حذفت اللام ههنا كما تحذفها من المصدر إذا قلت:

أَغْفِرُ عَوْرَاءَ الكريمِ أَدِّخارَه و وأُعْرِضُ عن ذَنْب اللَّئيم تكرُّمَا[2]

... ولو قلت: جئتك إنَّك تحب المعروف، مبتدأ كان جيداً، وقال سبحانه وتعالى: " فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ " [3]. وقال: "قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ "[4]، إنما أراد بأنِّي مغلوبٌ، وبأني لكم نذيرٌ مبين، ولكنه حذف الباء؛ وقال أيضاً: "وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا "[5] بمنزلة: " وَأَنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ" [6]، والمعنى: ولأن هذه أمتكم فاتقون، ولأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً"[7].

فإذا أفادت "أنّ" معنى السببية على تقدير حذف الباء، أو على تقدير حذف اللام علة أو سببا اشتد ارتباط مدخولها بما قبلها ارتباط المفرد بما كان فيه جملة،

---

(1) – الكتاب (125/3 وما بعدها).

(2) – ديوان حاتم الطائي شرحه وقدم له: أحمد رشاد – الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان – الطبعة: الأولى 1406هـ/ 1986م ص 45.

(3) – سورة: القمر. أية:10.

(4) – سورة: نوح. أية:2.

(5) – سورة: الجن. أية:18.

(6) – سورة: المؤمنون. أية:52.

(7) – الكتاب (126/3 وما بعدها).

أما مع مكسورة الهمزة؛ فهو على الابتداء، والكلام المستقل، ومن هذا كانت "أنّ" مفتوحة الهمزة أولى بالسبب المحض عن مكسورة الهمزة؛ وقد ورد حرفا التوكيد في سورة الحج في إفادة معنى السببية في مواضع كالتالي: في قوله تعالى: " ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ "[1]، وقوله تعالى: " أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ "[2]، وقوله تعالى﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ " [3]، وقوله تعالى: "ذَٰلِكَ ۖ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ " [4].

ففي الموضع الأول كانت السببية بـ "أنّ" مفتوحة الهمزة، وذلك في قوله تعالى: " وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ " ومعنى السببية مستفاد من العطف على قوله تعالى: " وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ" فيكون ما أصاب هذا المجادل في الله – بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير – من خزي في الدنيا والعذاب الحريق في الآخرة إنما بسبب ما قدمت يداه، وبسبب عدل الله في عباده، وهذا يجعل اسم الإشارة " ذَٰلِكَ " مخبرا عنه بجملتين في موضع الخبر: جملة قوله: " ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ"، وجملة قوله: " وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ".

---

(1) – سورة: الحج. آية:10.

(2) – السورة نفسها: آية:39.

(3) – السورة نفسها: بعض آية:54.

(4) – السورة نفسها: الآيات:60، 61.

وذلك بخلاف جواز كسرة همزة "أنّ" في الآية فيختلف المعنى، حيث يصير اسم الإشارة وما دخل عليه خبرا للأمر، ليكون الإعراب كما قال الزجاج في الآية موضع الشاهد: " يقال: هذا العذاب بما قدمت يداك، وموضع " ذٰلِكَ " رفع بالابتداء، وخبره "بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ "، وموضع "أَنَّ" خفض، المعنى ذلك بما قدمت يداك وبأن الله ليس بظلام للعبيد؛ ولو قرئت " إِنَّ" بالكسر لجاز، ويجوز أن يكون موضع " ذٰلِكَ " رفعا على خبر الابتداء، المعنى الأمر " بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ "، ويكون موضع أن الرفع على معنى " وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ""[1]، فلما كانت السببية مع "أنّ" مفتوحة الهمزة، كان العطف إخبارا عن ذلك الذي سبق ذكره في السياق القبلي، وذلك لكون السبب مسلطا على نفي الظلم من الله لعبيده، وإنما جزاؤهم بما كسبوا، فالظلم واقع منهم على أنفسهم، بما استحقوا من العذاب فكان قوله تعالى: " وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ" عطف على "ما" للدلالة على أن سببيته مقيدة بانضمامه إليه؛ إذ لولاه لأمكن أن يعذبهم بغير ذنوبهم لا أن لا يعذبهم بذنوبهم؛ فإن ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعاً ولا عقلاً حتى ينتهض نفي الظلم سبباً للتعذيب"[2]، فالتقييد لمعنى السببية من بلاغة "أنّ" مفتوحة الهمزة، لكونها مع العطف أدخلت الجملة الواقعة بعدها في حيز اسم الإشارة " ذٰلِكَ " وذلك لوقوع هذه الجملة موقع المفرد.

وهذا الذي أفادته "أنّ" من جعلها للجملة الداخلة عليها، جزء من بنية الكلام السابق جعل بعض القراء لا يجيزون الوقف على قوله: " يَدَاكَ"، حيث "اختلف في الوقف على قوله يَداكَ فقيل لا يجوز لأن التقدير: وبأن الله أي وَأَنَّ اللَّهَ هو العدل فيك

---

(1) – معاني القرآن وإعرابه (414/3).

(2) – أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ت: 685هـ – تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي – الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة: الأولى – 1418 هـ (3/ 63).

بجرائمك"[1]، وذلك لكونه بلغ مبلغا عظيما من الجرم، حيث لم يكتف بجداله في الله، بل زاد من ظلمه أن كان جداله بغير علم، ولا هدى، ولا كتاب هادٍ ينير له الطريق، فهو يتخبط في الظلمات من كل جانب، ثم أوغل، فحمل لواء الضلال لغيره، ولا يفعل ذلك إلا تكبرا، فهو في كل أمره هذا " ثَانِيَ عِطْفِهِۦ " ؛ فكان عذابه من عدل الله – سبحانه فيه، وفيمن سار على دربه، فكأن قوله: " وَأَنَّ ٱللَّهَ " "عطف عليه، أي: ذلك العذاب بسببين؛ بسبب كفركم ومعاصيكم، وبأن الله " لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ "؛ لأن تعذيب الكفار من العدل "[2]؛ فعدل الله بين عباده حاصل بتعذيب هذا الكافر، ومن على شاكلته؛ فكانت السببية في "أنّ" تجعل مدخولها لا يستقل بهذه السببية.

وذلك كما في الموضع التالي في قوله تعالى: " أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ " حيث أفاد حرف التوكيد السببية، ومعنى السببية في حرف التوكيد ظاهر بدخول حرف الباء عليه، كما كان الارتباط ظاهرا بين مدخول "أنّ" وما جاءت سببا فيه، عن طريق الضمير المتصل بحرف التوكيد، فالإذن في القتال مسبب عن كونهم مظلومين، فـ "أنّ" "مع ما في حيزها من اسمها وخبرها في محل جر بالباء ؛ أي: بسبب أنهم ظلموا بحذف المجرور المضاف: سبب، وحلول المصدر المؤول محله؛ بمعنى: بسبب كونهم مظلومين"[3]، فهم مظلومون بالتعدي عليهم، فالظلم وقع عليهم؛ وتحقق

---

(1) – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي ت: 542هـ – تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد – الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة: الأولى – 1422هـ (4/ 109).

(2) – مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي: 710هـ – تحقيق: يوسف علي بديوي، وراجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو – الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت – الطبعة: الأولى، 1419هـ – 1998م (1/ 651).

(3) – الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل لبهجت عبد الواحد صالح – الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان – الطبعة: الثانية، 1418 هـ (319/7).

وقوعه، وتأكيده عن طريق "أنّ"، ودلالة الفعل الماضي " ظُلِمُوا " يدل على مدى صبر المؤمنين في سبيل الإيمان بالله، وأن ثباتهم على الإيمان في ظل هذا الظلم، تمحيص من الله لهم، وامتحان واختبار لقوة إيمانهم؛ فكان الإذن من الله – سبحانه وتعالى – " بسبب أنهم ظلموا وهم أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، كان المشركون يؤذونهم، وكانوا يأتونه من بين مضروب ومشجوج يتظلمون إليه فيقول لهم: اصبروا فإني لم أومر بالقتال حتى هاجر"[1]، فكان الإذن من الله لهم بالقتال إنجازا لوعده، ومكافأة لهم على هذا الصبر الذي أمروا به؛ لكون الإذن جاءهم بعد الهجرة، وهم بعيدون عن أيدي المشركين، وفي منعة من الأنصار.

فكان مع إفادة "أنّ" معنى السببية، في تسبب الإذن بالقتال عن كونهم مظلومين، وتقييده به التأكيد على موعود الله لهم بما يزيد نفوسهم يقينا؛ وذلك لأن "مقام الوعد من مقامات التوكيد لتزداد النفوس به يقينا واطمئنانًا"[2]، وحصول الإذن يستلزم ترقب المأذون لهم لهذا الإذن وتحينه، وانتظاره، وثقتهم في الله – سبحانه – في إنجاز وعده لهم؛ فإذا حصل الوعد اطمأنت النفوس، وزادت ثقتها بعد فرحها بحصول موعودها؛ ومع اقتران "أنّ" بضمير الذين يقاتلون مع بناء الفعل: يقاتلون للمفعول: فيه إشعار بمدى الظلم الواقع عليهم، واستمرار هذا التعدي وذلك الظلم، وأنه لم ينقطع بهجرتهم، وكل هذا بسبب إيمانهم، وهذا السبب أيضا مشعر بتوبيخ وتقريع المشركين على فعلهم هذا؛ فهؤلاء المؤمنون لم يصنعوا ما يستوجب هذا التعدي والتنكيل، فكل جرمهم في أعين المشركين " إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ " كما شهد به السياق البعدي للآيات.

---

(1) – مفاتيح الغيب (23/ 228)، وأنوار التنزيل (4/ 73).

(2) – خصائص التراكيب ص 97.

ومن بلاغة "أنّ" في هذا الموضع وقوع الجملة التي دخلت عليها منها موقع الصلة، حيث اعتبرها سيبويه اسما، وما دخلت عليه بمنزلة الصلة لذلك الاسم، وذلك في قوله: "أما أنَّ فهي اسم وما عملت فيه صلةٌ لها، كما أن الفعل صلة لأن الخفيفة وتكون أن اسماً؛ ألا ترى أنك تقول: قد عرفت أنك منطلقٌ، فأنك في موضع اسم منصوبٌ كأنك قلت: قد عرفت ذاك"[1]، وكون الجملة بعد "أنّ" صلة لها يجعل هذه الجملة في حكم المعهود المعلوم؛ فيكون الإخبار عن الذين أذن لهم بالقتال، لما سبق عليهم العهد في وقوع الظلم عليهم، وهذا أمر معلوم معهود، قد شاع وانتشر، وعرفوا به، وهذا العهد لا يتحقق إلا مع "أنّ" مفتوحة الهمزة والتي سوغت للجملة الواقعة بعدها أن تأخذ حكم جملة الصلة، فيكون الإذن مسببا عن هذا العهد الذي حققته "أن" مع دلالتها على السببية في هذا الموضع.

ومن المواضع التي جاءت في سورة الحج في إفادة "أنّ" لمعنى السببية قوله تعالى: " ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ "، ومعنى السببية وإن كان مستفادا من دخول الباء على "أن" إلا أن بناء السبب على "أنّ" مفتوحة الهمزة يقيد الكلام بما قبله مع ضرب من التأكيد، فتكون مع مدخولها، سببا فيما قبلها، فيكون نصرة الله – سبحانه – لعبده الذي بُغي عليه بعد رده للظلم الواقع عليه محققا تحقق إيلاج الليل في النهار والنهار في الليل، فالقادر على ذلك قادر على نصرة عبده الذي بُغى عليه بعد أن عاقب بمثل ما عوقب به؛ فيكون قوله: "ذلِكَ" أي: ذلك النصر. " ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ " بسبب أن الله تعالى قادر على تغليب الأمور بعضها على بعض، جار عادته على المداولة بين الأشياء المتعاندة ومن ذلك إيلاج أحد المَلَوَيْنِ في الآخر، بأن يزيد فيه ما ينقص منه، أو بتحصيل ظلمة الليل في مكان ضوء النهار بتغييب الشمس

(1) – الكتاب (119/3 وما بعدها).

وعكس ذلك باطلاعها"[1]، فالقادر على إخراج الشيء من ضده، أو إدخال الضد في الضد- وهذا من مظاهر قدرته سبحانه – فقدرته على نصرة هذا العبد أهون عليه من ذلك.

وكونه – سبحانه – جعل حصول النصر منه مسببا على قدرته على إيلاج الليل في النهار وإيلاج النهار في الليل فيه من تيقن النصرة وحصولها ما فيها؛ لكونه لما كان تحقق هذه الآية حسا ورؤية على أعين الناس، لا تختلف يوما عن غيره صار حصول النصر لا يختلف ما اختلف الليل والنهار، ووقوع مدخول "أنّ" موقع المفرد يزيد من هوان هذا الأمر على المولى – سبحانه – يجعل حصول النصر أمرا قريبا لا يطول زمان انتظاره؛ وذلك لقصر جملة السببية بعد "أنّ" المفتوحة الهمزة، وذلك مع بقاء دلالة الفعل " يُولِجُ " على تجدد السبب مع تجدد المسبب، فكلما حصل بغي، جاءت النصرة من الله – سبحانه – لكمال قدرة المولى في كونه كلما جاء ليل أعقبه نهار.

فحصول السببية مع "أنّ" مفتوحة الهمزة يرتبط بكون مدخولها غير منفصل عما كان سببا فيه، وذلك بخلاف حال السببية مع "إنّ" مكسورة الهمزة، والتي تجعل الجملة بعدها أقرب إلى الاستقلال بالمعنى، وذلك كما في الموضع التالي في قوله تعالي: " ذَٰلِكَۖ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوّٞ غَفُورٞ " .

وذلك حيث جاء قوله تعالى: "إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوّٞ غَفُورٞ" علة وسببا لقوله تعالى: "لَيَنصُرَنَّهُ " وذلك لكون هذا الذي بغي عليه بعدما عاقب بمثل ما عوقب به لم ينتصر لنفسه بعد هذا البغي؛ فتولى الله نصرته، فهو قد تخلق بصفات العفو عن هذا

---

(1) – أنوار التنزيل (77/4).

الذي بغي، فجاءت جملة: " إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ " سببا في كونه قد عفا عن هذا البغي الذي حصل عليه، فهو قد امتثل لأمر الله – سبحانه – بالعفو والإصلاح، وطلب الأجر من الله؛ يقول الدكتور فاضل السمرائي: " هو عاقب بما عوقب به ثم بغي عليه لكنه لم يعاقب الآن، ما قال أخذ حقه وما قال كالأولى " ذَٰلِكَ ۖ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ " ولكنه فقط بُغِيَ عليه لم ينصره أحد فقال: " إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ " ثم عفا وغفر.

لما قال تعالى: "إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ " إشارة إلى أنه إذا عفا وغفر نصره الله لأن الله تعالى يقول له: " فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ "[1]، " وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ"[2] عندما قال بُغي عليه ولم يأخذ بحقه معناه: أنه عفا وغفر. في الأولى قال: عوقب فعاقب، ثم لما بغي عليه لم يأخذ حقه وربنا تعالى ما دام عفا وغفر ينصره الله ثم قال:" لَعَفُوٌّ غَفُورٌ " تخلّقوا بأخلاق الله تعالى فالله عفو غفور فأنت اعف واغفر.

هذا إلماح لنا لأن نعفو ونغفر وألّا نعجّل بالعقوبة، تلميح لنا بأن الله تعالى عفو غفور أن نعفو ونغفر فهذا توجيه لنتخلق بصفات الله عز وجل، هذه إشارة إلى أنه لم يعاقِب ولم يأخذ بحقه وإنما عفا وغفر والله عفو غفور فقال: " لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ "[3]، ولما كانت هاتان الصفتان من العفو المغفرة، واللتان اتصف بهما المولى – سبحانه – لا يشترط فيها كون الله – سبحانه – نصر هذا الذي بُغى عليه، فهو – سبحانه – عفو غفور دائما أبدا فهي صفات ملازمة له – سبحانه

---

(1) – سورة: الشورى آية: 40.

(2) – سورة: البقرة آية: 237.

(3) – لمسات بيانية في سور القرآن الكريم للدكتور/ فاضل صالح السامرائي سورة: الحج – مخطوط.

وتعالى – وعلى هذا المعنى كان التعليل والسبب مبنيا على "إن" مكسورة الهمزة، التي لا يتوقف ما هي فيه سببا على ما قبلها؛ فهي مع السببية تستقل بمعنى جملتها.

ومن ثراء الدلالة في مقام "إنّ" هنا مع استقلالها بمعناها سببا وعلة في الآية التي ختمت بها كون هذا الذي بُغي عليه التزم بالمماثلة عند رده العقوبة التي وقعت عليه، التزاما منه بمنهج الحق في رد العقوبة، بالرغم من كون العدوان عليه أولا كان ظلما له بداية، وهو عفا عن هذا الظلم الذي استلزمه البدء بالعدوان عليه، واقتصر على المماثلة في رد ما وقع عليه من عقوبة، كما قال الشيخ الطاهر بن عاشور: "وَجُمْلَةُ " "إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ " تَعْلِيلٌ لِلِاقْتِصَارِ عَلَى الْإِذْنِ فِي الْعِقَابِ بِالْمُمَاثَلَةِ فِي قَوْلِهِ: " وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ " دُونَ الزِّيَادَةِ فِي الِانْتِقَامِ مَعَ أَنَّ الْبَادِئَ أَظْلَمُ بِأَنَّ عَفْوَ اللَّهِ وَمَغْفِرَتَهُ لِخَلْقِهِ قَضَيَا بِحِكْمَتِهِ أَنْ لَا يَأْذَنَ إِلَّا بِمُمَاثَلَةِ الْعِقَابِ لِلذَّنْبِ لِأَنَّ ذَلِكَ أَوْفَقُ بِالْحَقِّ"[1]، وكأنه – سبحانه – من واسع رحمته بالمؤمنين، ومن نصرته للمظلومين أن شملهم بعفوه عنهم ومغفرته لهم؛ لكونه قد جعلهم بداية معاقبين في قوله: " وَمَنْ عَاقَبَ " وهو مجاز في ردهم الظلم، فهم لم يبدأوا بالتعدي، ولا يسمى فعلهم عقوبة، لكون العقوبة تعدي وظلم، وهم لم يتعدوا ولم يظلموا، ولكن أسماها عقوبة؛ حتي يلتزموا بمنهج الحق والعدل، وعدم مجاوزة الحد في رد الظلم، فكان من أقصى تحري العدل تسمية رد الظلم بالعقوبة؛ وهم مع هذه التسمية أحوج إلى عفو الله ومغفرته؛ فختمت الآية بقوله: " إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ".

كذلك من ثراء الدلالة في التعليل بـ "إن" كون العفو والغفران من الله – سبحانه – سببا في نصرة الله لمن بُغي عليه، فإما عن رد هذا البغي ممتثلا لأمر الله بالعفو

---

(1) – التحرير والتنوير (313/17).

والمغفرة عمن بغى عليه، وإما مع رده لهذا البغي يكون باغيا، فهو أحوج لعفو الله – سبحانه – ومغفرته، وإما هو مع نصرة الله له في رد هذا البغي غير مؤاخذ بما زاد من فعله أثناء رده، فإذا زاد في رده البغي، وجاوز الحد الذي أصابه كان الله – سبحانه – مع هذه الزيادة والمجاوزة عفوا غفورا، وعلى ذلك تختلف السببية بين "إن"، و"أن" ودلالة الكلام مع كل منهما، وذلك يقتضي بيان دلالة ما تنفرد به إحداهما عن الأخرى كما في الاستئناف البياني.

المبحث الرابع

الاستئناف البياني بـ "إن".

من المواضع التي تختص بها "إن" مكسورة الهمزة دون أختها مفتوحة الهمزة وقوعها في صدر جملة الاستئناف البياني، وذلك لإرادة التوكيد، والاستئناف البياني من مواطن الفصل بين الجمل، ويختص به من أبواب البلاغة مبحثان: أولهما: مبحث الفصل والوصل خاصة: شبه كمال الاتصال؛ حيث تثير الجملة الأولى سؤالا تصلح الثانية أن تكون جوابا عليه؛ وهذا السؤال إما عام عن الحكم مطلقا، أو سؤال عن سبب خاص، وهذا الأخير هو ما يقتضي توكيدا؛ فيصدر بـ"إن"[1].

ثانيهما: مبحث: أحوال الإسناد الخبري، خاصة: أضرب الخبر؛ حيث يؤتى بـ"إن" في صدر جملة الجواب لإزالة الإنكار من المنكر، أو في جملة تنزيل غير السائل منزلة المتردد أو السائل، وكأن المخاطب متردد في الحكم فتقتضي الجملة التوكيد[2]؛ فالجامع بين المبحثين: تصدر الجملة المستأنفة بـ "إن" مكسورة الهمزة، كذلك استدعاء التوكيد من خلال التردد الحاصل من السائل، حيث تثير الجملة الأولى سؤالا تصلح الثانية جوابا عليه؛ وهذا التردد هو ما استحضر التوكيد بـ "إن"؛ لأنه "وجب إذا قيل إنها جواب سائل أن يشترط فيه، أن يكون للسائل ظن في المسؤول عنه على خلاف ما أنت تجيبه به فأما أن يجعل مجرد الجواب أصلا فيه فلا"[3].

وقد جاءت الجملة المصدرة بـ "إن" في موقع الاستئناف البياني في سورة الحج في المواضع التالية في قوله تعالى: " إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ

---

(1) – ينظر: الإيضاح مع البغية (2/ 295)، ودلالات التراكيب ص 309.

(2) – ينظر: المطول ص 50، وخصائص التراكيب ص 120.

(3) – دلائل الإعجاز ص 326.

تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ "[1]، وقوله تعالى: " إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ " [2]، وقوله تعالى: " إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ "[3]، وقوله تعالى: " إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ "[4]، وقوله تعالى: " إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ "[5].

ففي الموضع الأول في قوله تعالى: " إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ " حيث استأنف بيانا عن جزاء من آمن بالله وصدّق عملُه إيمانه، فخالف بذلك الصنفين السابقين: من يجادل في الله بغير، ويتخذ الشيطان وليا، والثاني: الذي يعبد الله على حرف؛ ولما كان كلاهما جانب الإيمان الصحيح، حيث أشركا بالله، فالأول يضله ويهديه إلى عذاب السعير، والثاني: لا يملك لمن يدعوه ضرا ولا نفعا، بل ضره أقرب إليه من نفعه استلزم ذلك بيان العقيدة الصحيحة، والعمل الصواب، وجزاء من يصنع ذلك، وقدرة المعبود على

---

(1) – سورة: الحج. آية: 14.

(2) – السورة نفسها: آية: 17.

(3) – السورة نفسها: آية: 23.

(4) – السورة نفسها: آية: 25.

(5) – السورة نفسها: آية: 38.

نفع من يعبده؛ فجاء قوله تعالى: " إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ" مستأنفا لبيان كل هذه المعاني.

وقد أكد هذا البيان بتصديره بـ "إن" مكسورة الهمزة لتنزيل غير السائل منزلة السائل؛ وذلك على خلاف مقتضى الظاهر، فالظاهر أن ليس هناك سائل، ولكن لما كان فعل الصنفين السابقين من الإشراك بالله يودي بهما إلى الهلاك، فأحدهما مصيره عذاب السعير، والآخر يجلب إليه الضر فهو: " لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ " تعلقت الأذهان بشأن الإله الحق، وجزائه لأهل الإيمان، وصاروا كأنهم مترددون في جزاء من آمن وعمل صالحا، ومن ضَمن لهم ذلك الجزاء؟! فجاء قوله تعالى: " إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ" مصدرا بـ "إن" لنفي هذا الشك الناشئ من ذلك التردد؛ لكونه " ولما أفهم ما تقدم أن هذا الإله المدعو إليه قادر على كل من النفع والضر بالاختبار، وأن تجويز الوقوع لكل منهما منه على حد سواء، نبه على ذلك بقوله مستأنفا: " إِنَّ ٱللَّهَ " أي الحائز لجميع صفات الكمال المنزه عن جميع شوائب النقص " يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ " برسله وما دعت إليه من شأنه " وَعَمِلُواْ " تصديقا لإيمانهم " ٱلصَّٰلِحَٰتِ " الخالصة"[1].

ولما كان هذا الاستئناف لا يصلح معه سوى "إن" مكسورة الهمزة؛ لكون "أن" المفتوحة تجعل ما دخلت عليه جزءا من الكلام السابق داخلا في حيزه؛ اختصت "إن" بهذا الاستئناف لكونها تفصل ما دخلت عليه عما قبلها؛ ولا يتوقف ما بعدها على ما قبلها، كالصنيع مع "أن" المفتوحة التي تؤول مع مدخولها بالمفرد، فلا تدخل بين السؤال والجواب حيث أثارت الآية السابقة سؤالًا تصلح الآية موضع الشاهد أن تكون

(1) – نظم الدرر (20/13).

جوابا عليه، فجاءت "إن" المكسورة بين السؤال والجواب، وهذا الموضع مما لا تصلح فيه "أن" المفتوحة.

والآية مسوقة على بيان تشريف الله بالمؤمنين؛ إذ يتولى دخولهم الجنة إذا حققوا شرط الإيمان والعمل الصالح، وهذا دائما وأبدا، دون توقف على جزاء الصنفين السابقين، وحالهم مع من أضلهم من الجن والأنس؛ كذلك لا يصح في العقل أن يجمع بين المشركين وجزائهم، والمؤمنين وجزائهم في ربقة، ولا يستوي إله هؤلاء بإله هؤلاء، ومن هنا لا تصلح الفاء موضعها، فهي كما الإمام عبدالقاهر: "فإنك قد تراها قد دخلت على الجملة ليست هي مما يقتضي الفاء"[1]، وذلك لكونها جاءت لنفي شك تعلق بالمخاطب الذي نزل منزلة السائل المتردد، فوافق فعله فعل الشاك في الأمر، فكان حاله حال من يظن خلاف ذلك، وإن كان لم يظن ولم يسأل، ولم يقع منه تردد، وهذا كما ذكر الشيخ عبدالقاهر من لطيف مواقعها، وذلك في قوله: "ومن لطيف مواقعها أن يُدعى على المخاطب ظن لم يظنه، ولكن يراد التهكم به، وأن يقال: إن حالك والذي صنعت يقتضي أن تكون قد ظننت ذلك"[2]، فكان من بالغ التهكم بالصنفين الضالين من الناس، هذا الاستئناف البياني الذي يظهر سفاهة أحلامهم، وحماقة أفعالهم، وفساد عقولهم، مقارنة بالذين آمنوا وعملوا الصالحات، وجزاء الله لهم، وهذا من ثراء الدلالة لمجيء "إن" في هذا الموضع.

أما الموضع التالي في قوله تعالى: " إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ " قد جاءت الآية الكريمة في موقع الاستئناف البياني مصدرة بـ

---

(1) – دلائل الإعجاز ص 322.

(2) – نفسه ص 326.

"إن" مكسورة الهمزة، والتي تختص بهذا الموضع دون أختها؛ لتباين الدلالة مع "أن" مفتوحة الهمزة مع هذا الاستئناف، لكون الكلام من "أن" مفتوحة الهمزة يجعله جزءا من الكلام السابق، وغير مستأنف به؛ فلما كانت الآية السابقة مسوقة لبيان إرادة الله في الهداية بهذا الكتاب، وما فيه من آيات بينات؛ فمن تبع هذا الكتاب كتب له الهداية، ومن نبذه وراء ظهره صار من الضالين؛ فلما أثار ذلك سؤالا صلحت الآية موضع الشاهد أن تكون جوابا عليه صار مجيء "أن" بين السؤال والإجابة غير جائز؛ لكونها تجعل ما دحلت عليه جزءا من الكلام السابق، فإذا كان لا يعطف بين السؤال والجواب كذلك لا يمكن أن يكون الكلام جزءا واحدا.

وتصدير هذا الاستئناف بـ "إن" لكون المقام يقتضي تأكيدا لكون الآيات السابقة تستدعي سؤالا عن حال الفريقين: المهدي والضال كما قال البقاعي: " ولما كان ذلك موجبا للسؤال، عن حال الفريقين: المهدي والضال، أجاب عن ذلك ببيان جميع فرق الضلال، لأن لهذه السورة أتم نظر إلى يوم الجمع الذي هو مقصود السورة التي قبلها، فقصد إلى استيعاب الفرق تصويرا لذلك اليوم بأليق صورة، وقرن بكل من فريقي أهل الكتاب موافقة في معناه فقال: " إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ " أي: من أي فرقة كانوا، وعبر بالفعل ليشمل الإقرار باللسان، الذي هو أدنى وجوه الإيمان، " وَٱلَّذِينَ هَادُواْ " أي انتحلوا اليهودية؛ علي أي حال كانوا من إيمان أو كفر؛ ولما كان اليهود قد عبدوا الأصنام متقربين بها إلى النجوم كما مضى أتبعهم من شابهوه فقال: " وَٱلصَّٰبِـِٔينَ " ثم تلا بثاني فريقي أهل الكتاب فقال: " وَٱلنَّصَٰرَىٰ " ثم أتبعهم من أشبهه بعض فرقهم في قولهم بإلهين اثنين فقال: " وَٱلۡمَجُوسَ " هم عبدة النار؛ ثم ختم بأعم الكل في

الضلال كما فتح بأعمهم في الهدى فقال: " وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ " لشموله كل شرك حتى الأصغر من الربا وغيره"[1].

وهذا السؤال المثار يضع المخاطب موضع المتردد في الخبر، فجاء التوكيد لنفي هذا الشك الذي يُدعى على المخاطب ظنه، فكأنه ظن ظنا يجعله شاكا في مضمون جملة الاستئناف البياني؛ فجاءت جملة الاستئناف البياني؛ "لأنه لما اشتملت الآيات السابقة على بيان أحوال المترددين في قبول الإسلام كان ذلك مثارا لأن يتساءل عن أحوال الفرق بعضهم مع بعض في مختلف الأديان، وأن يسأل عن الدين الحق لأن كل أمة تدعي أنها على الحق وغيرها على الباطل وتجادل في ذلك؛ فبينت هذه الآية أن الفصل بين أهل الأديان فيما اختصموا فيه يكون يوم القيامة، إذ لم تفدهم الحجج في الدنيا"[2]، فكان هذا الفصل بين هذه الفرق مدعاة للامتثال لأمر الله بالتقوى، والتصديق بأهوال يوم القيامة، وهذا أدعى للإيمان بالبعث، والحشر والحساب، وهذا مستفاد من التأكيد في صدر جملة الاستئناف البياني في هذا الموضع.

أما في الموضع التالي في قوله تعالى: " إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ " حيث جاء الاستئناف البياني مصدرا بـ "إن" مكسورة الهمزة وهذه الآية تعد ثاني القسمين من الخصمين السابق ذكرهما في السياق القبلي القريب، وعلى ذلك " كان مقتضى الظاهر أن يكون هذا الكلام معطوفا بالواو على جملة " فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ " [3] ؛ لأنه قسيم تلك

---

(1) – نظم الدرر (23/13 وما بعدها).

(2) – التحرير والتنوير (17/ 222).

(3) – سورة: الحج. آية: 19.

الجملة في تفصيل الإجمال الذي في قوله: " هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡ " [1]، بأن يقال: والذين آمنوا وعملوا الصالحات يدخلهم الله جنات ... إلى آخره؛ فعدل عن ذلك الأسلوب إلى هذا النظم لاسترعاء الأسماع إلى هذا الكلام إذا جاء مبتدأ به مستقلا مفتتحا بحرف التأكيد ومتوجا باسم الجلالة، والبليغ لا تفوته معرفة أن هذا الكلام قسيم للذي قبله في تفصيل إجمال " هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡ " لوصف حال المؤمنين المقابل لحال الذين كفروا في المكان واللباس وخطاب الكرامة"[2].

حيث تستلزم المقابلة تأكيد الإكرام للذين آمنوا، ومزيد امتهان للذين كفروا، فعجل المساءة للكافرين بتقديم ذكرهم وجزاءهم، ولكونهم الفريق الذي اتخذ من دون الله خصما، فكان الله خصيمه إلى جانب المؤمنين؛ فبنى في بيان المجازاة للكافرين الأفعال للمفعول فقال: "قطعت، يصب، يصهر ..." دون ذكر الفاعل امتهانا وتعجيلا للمساءة لهم، وبيانا لكونهم الخصم المخزي الخاسر في هذه المخاصمة، أما جانب المؤمنين لما غاير في بناء الفعل للمعلوم في قوله: "يدخل" فصل الكلام في شأن المؤمنين إكراما وتعظيما وتفخيما لشأنهم، وتأكيدا لتوليه جزاءهم بنفسه.

فاستأنف بيانا عن حال المؤمنين في مقابل حال الكافرين؛ لكونه" لما ذكر ما لأحد الخصمين وهم الكافرون، أتبعه ما للآخر وهم المؤمنون، وغير السياق بالتأكيد لمن كأنه سأل عنه، معظما له بإثبات الاسم العلم الجامع إيذانا بالاهتمام فقال: " إِنَّ ٱللَّهَ " أي الذي له الأمر كله " يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ " عبر في الإيمان بالماضي ترغيبا في المبادرة إلى إيقاعه " وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ " تصديقا لإيمانهم، وعبر بالماضي إشارة إلى أن من عمل الصالح انكشف له ما كان محجوبا عنه من حسنه فأحبه ولم ينفك

---

(1) – سورة الحج. آية: 19.

(2) – التحرير والتنوير (17/ 231).

عنه"[1]، فالمستدعي للتأكيد في صدر الاستئناف هو السؤال المثار عن السبب الخاص عن دخول المؤمنين الجنة؛ لكونه لما علم مآل الكافرين وهم أحد الخصمين، وقد وفي ذلك عقابهم؛ لاح للمخاطب مآل المؤمنين وتفصيل جزاءهم؛ فكان السؤال عن دخولهم الجنة سببا خاصا، فكأنه " تصور نفي جميع الأسباب إلا سبب خاص تردد في حصوله ونفيه"[2]، فجاء هذا التأكيد لنفي هذا الشك الناتج عن ذلك التردد، ولم يصح التأكيد بـ "أن" مفتوحة الهمزة لعدم صحة العطف بداية عل الكلام السابق، ولكونه ليس جزءا منه؛ فلا يصح العطف بين السؤال والجواب، وذلك بما أثارته الجملة السابقة من سؤال تصلح الآية موضع الشاهد أن تكون جوابا عنه، ومجيء "أن" مفتوحة الهمزة يصحح هذا العطف، فلم تتصدر التأكيد هنا؛ فاختصت "إن" مكسورة الهمزة بهذا الاستئناف في هذا الموضع.

أما في الموضع التالي في قوله تعالى: " إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ " حيث صدرت جملة الاستئناف البياني بـ "إن" مكسورة الهمزة؛ لإرادة التوكيد، والتوكيد هنا لبيان سبب جزاء الكافرين، وذلك لكونه " لما بين ما للفريقين، وتضمن ما للفريق الثاني بيان أعمالهم الدالة على صدق إيمانهم، كرر ذكر الفريق الأول لبيان ما يدل على استمرار كفرهم، ويؤكد بيان جزائهم، فقال: " إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ " أي أوقعوا هذا الفعل الخبيث"[3].

---

(1) – نظم الدرر (23/13 وما بعدها).

(2) – مواهب الفتاح – ضمن شروح التلخيص– الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان (57/3).

(3) – نظم الدرر (33/13).

ففي الآية الأولى التي بينت جزاء الكافرين ومآلهم، لم يذكر ما استوجب هذا الجزاء إلى جانب كفرهم، وما أُعد لهم مسبقا من عذاب يوم القيامة في السياق القبلي في قوله تعالى: " قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ " فهذا العذاب مجهز مسبقا للكافرين، ولكن من عدل الله – سبحانه – ورحمته بيان سبب استحقاق هذا العذاب، حتى إذا ارتدع وراجع نفسه ولم يتعلق بهذا السبب نجا من هذا العذاب، وهذا السبب إلى جانب الكفر جاء في قوله: " وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ "؛ " ولعله إنما عبر بالمضارع رحمة منه لهم ليكون كالشرط في الكفر فيدل على أن من ترك الصد زال عنه الكفر وإن طال ذلك منه"[1].

وكأنه مع تركه الصد عن سبيل الله يميل إلى الإيمان؛ لكونه إذا خرج عن الباطل دخل في الحق، فلا واسطة بينهما؛ فمن تحرك عن الباطل قيد أنملة إنما دخل في الحق، والعكس كذلك؛ فمن خرج من الحق قيد أنملة دخل في الباطل، فهم إذا تركوا الصد عن سبيل الله فكأنما تركوا الكفر؛ لكون علامة كفرهم هو: صدهم عن سبيل الله، فإذا زال عنهم زالت عنهم صفة الكفر وهذا من رحمة الله – سبحانه – بهم وعدله؛ فليس المقصود تعذيبهم.

وذلك لكونه لما ذكر "هذا مقابل قوله: " وَهُدُوٓاْ إِلَى صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ " بالنسبة إلى أحوال المشركين إذ لم يسبق لقوله ذلك مقابل في الأحوال المذكورة في آية: " فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ " كما تقدم، فموقع هذه الجملة الاستئناف

(1) – نظم الدرر (33/13 وما بعدها).

البياني .والمعنى: كما كان سبب استحقاق المؤمنين ذلك النعيم اتباعهم صراط الله كذلك كان سبب استحقاق المشركين ذلك العذاب كفرهم وصدهم عن سبيل الله"[1].

وعلى هذا المعنى فالاستئناف البياني جاء إجابة عن سؤال أثارته الجملة السابقة عن سبب استحقاق المشركين لذلك العذاب؛ وعلى هذا يكون التأكيد المصدر به جملة الاستئناف البياني؛ لنفي الشك الحاصل من التردد الذي جاء من السؤال المثار، وإن كان ذلك على سبيل الادعاء في وجود من يشك أو يتردد في الخبر؛ فنزل منزلة السائل، وهذا مالا تفيده "أن" مفتوحة الهمزة في هذا الموضع لمخالفة الحال بين الفريقين، فهو كلام عن خصمين لا يصح دخول أحدهما في الآخر، فكانت الآية هنا ليست جزءا من الكلام السابق، ولا تقع موقع المفرد؛ فصدرت بـ "إن" مكسورة الهمزة في هذا الموضع.

أما في الموضع التالي في قوله تعالى: " إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ " حيث استأنف بيانا مصدرا بـ "إن" مكسورة الهمزة للتأكيد على مضمون الجملة التي دخلت عليها، فهذه الآية " استئناف بياني جوابا لسؤال يخطر في نفوس المؤمنين ينشأ من قوله تعالى: " إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ " الآية، فإنه توعد المشركين على صدهم عن سبيل الله والمسجد الحرام بالعذاب الأليم، وبشر المؤمنين المخبتين والمحسنين بما يتبادر منه ضد وعيد المشركين وذلك ثواب الآخرة، وطال الكلام في ذلك بما تبعه لا جرم تشوفت نفوس المؤمنين إلى معرفة عاقبة أمرهم في الدنيا، وهل ينتصر لهم من أعدائهم أو يدخر لهم الخير كله إلى الدار الآخرة، فكان المقام خليقا بأن يطمئن الله نفوسهم بأنه كما أعد لهم نعيم الآخرة هو أيضا مدافع عنهم في الدنيا وناصرهم، وحذف مفعول يدافع لدلالة المقام، فالكلام موجه إلى

(1) – التحرير والتنوير (17/ 235).

المؤمنين، ولذلك فافتتاحه بحرف التوكيد إما لمجرد تحقيق الخبر، وإما لتنزيل غير المتردد منزلة المتردد لشدة انتظارهم النصر واستبطائهم إياه"[1].

فمجيء "إن" في صدر هذا الاستئناف لتنزيل المؤمنين منزلة من استبطأ النصر، يدل على ذلك طول سياق الكلام، في الحديث عن المسجد الحرام، وشعائر الله، كأنه ليس ثمة قتال أو إذن، فإذا كان ليس ثمة قتال، فليس ثمة دفاع أو نصر، فجاء الاستئناف بشرى للذين آمنوا بالدفاع عنهم، وتأسيس لمعنى الإذن في القتال الذي طال انتظاره، فكان مجيء "إن" هنا إما لتحقيق وعد الله بالنصر، تمهيدا للإذن في القتال، مع سوق البشرى بالدفاع عنهم، وليعلموا أنهم هم المنصورون، فكان مجيئها لمجرد تحقيق الخبر.

وإما لتنزيل غير المترد منزلة المتردد، لإثارة حال المشركين وتوعدهم، ومآل المؤمنين في الأخرة من النعيم والجنات سؤالا في نفس المؤمنين عن حالهم في الدنيا مع هؤلاء المشركين الذين لم يؤذن بعد في قتالهم، فجاء الاستئناف ليؤسس لهذه البشرى في الإذن بالقتال بذكر الدفاع عنهم تعجيلا للبشرى لهم في هذه الدنيا؛ فكان التأكيد مستحسنا لنفي هذا الشك الناشئ من التردد الذي ادُّعي من المخاطب، الذي ذكرته شعائر الحج أوطانهم التي كانت تحت وطأة المشركين، وكأنه " لما ذكر سبحانه الحج المذكر للمهاجرين بأوطانهم المخاصمة التي أنزلت في غزوة بدر، وذكر ما يفعل فيه من القربات، عظم اشتياق النفوس إلى ذلك وتذكرت علو المشركين الذي يصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام وظهورهم ومنعهم لمن أراد هذه الأفعال، على هذه الأوصاف الخالصة، والأحوال الصالحة، وفتنتهم له، فأجابها سبحانه عن هذا السؤال بقوله: " إِنَّ ٱللَّهَ " أي الذي لا كفوء له " يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ " لأنهم

(1) – التحرير والتنوير (17/ 271).

بدخولهم في الإيمان لم يكونوا مبالغين في الخيانة ولا في الكفر فهو يحبهم، فكيف بالمحسنين الذين ختمت بهم الآية السالفة، أي فيظهرهم على عدوهم"[1].

فكانت نفوس المؤمنين لطول اشتياقها إلى موطنهم الذي أخرجوا منه بغير الحق، ورغبة منهم في الرجوع إليها، ولا يمنعهم من ذلك سوى المشركين الذين صدوهم عن المسجد الحرام، فلا سبيل لهم بعد ذلك إلا قتالهم، ولا يكون قتال إلا بإذن من الله استبطأت نفوس المؤمنين هذا اللقاء، واستبعدت النصر على المشركين في ديارهم، فكان التأكيد بتولي الله – سبحانه – الدفاع عنهم إذا هم حققوا الإيمان الحق، فسبحانه لا يحب الخوان الكفور، وهذا عام في كل زمان ومكان وليس خاصا بجماعة المهاجرين، فمتى حقق المؤمنون الإيمان الكامل حتى عُرفوا به وصار علما عليهم، هذه العلمية مستفادة من التعريف بالموصولية في قوله: " الَّذِينَ آمَنُوا "؛ فكان حق الاستئناف البياني أن يصدر بـ "إن" مكسورة الهمزة دون أختها "أن" مفتوحة الهمزة؛ لاختصاصها بالإضافة إلى المفرد؛ فتؤول وما تدخل عليه بمفرد يكون جزاء وتماما للكلام السابق، والكلام هنا مشعر أن يكون بين سؤال وجواب: سؤال أثارته الجملة السابقة، وجواب في جملة الاستئناف البياني، فكما لا يجوز الوصل بين السؤال والجواب: لا يجوز وقوع "أن" المفتوحة في صدر جملة الاستئناف البياني.

---

(1) – نظم الدرر (54/13).

الخاتمة

الحمد لله أولا وآخرًا وصلاة وسلاما على خاتم الأنبياء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم؛ وبعد فقد أسفر هذا البحث عن بعض النتائج، أذكر منها:

- يمثل التأكيد في "إن وأن" اطرادا معنويا وأسلوبيا في مواضع "إن وأن" في السورة الكريمة، وذلك في كل المواضع التي أفادت تعليلا، وسببا، واستئنافا، ولكنه قد ينفرد ببعض المواضع دون بعض كمواضع الدخول على جملة الخبر، أو مع التكرار، أو لكون الخبر مهما في ذاته، أما المواضع الأخرى؛ فيظهر معاني التأكيد فيها تبعا للمعنى المراد من الحرفين تعليلا كان أو سببا أو استئنافا.
- يمثل التعليل بـ"إن" خاصة فريدة معنوية في جمعه بين معاني التأكيد والربط بين الجملتين، خاصة إذا كان التعليل في جواب الطلب، فتصلح فاء الربط بينها، وذلك دون أختها: "أن" مفتوحة الهمزة، فهي وإن كانت للتعليل، ولكنها تربط بين الجملتين إضافة إلى معنى التأكيد الخاص بها.
- تمثل مواضع "إن" في الاستئناف البياني فرائد لفظية وأسلوبية في الفصل بين مقاطع المعاني، وتنفرد "إن" مكسورة الهمزة في هذا المعنى دون غيره، فلم تشاركها "أن" مفتوحة الهمزة في هذا المعنى.
- تنفرد "إن" مكسورة الهمزة بجل مواضع التعليل في السورة الكريمة، وذلك لإرادة معنى العموم في التعليل في أكثر الآيات، حيث تصلح جملة التعليل أن تكون علة لما هي فيه، وعلة لغيره على الدوام.
- تنفرد "أن" مفتوحة الهمزة بجل مواضع السببية في السورة الكريمة، وذلك لوقوعها مع ما هي سبب فيه موقع المفرد تقييدا بالجملة السابقة، وذلك في أكثر مواضعها، حيث يكون السبب مختصا بمسببه مقيدا به.

- التوكيد بـ "إن" مكسورة الهمزة في السورة الكريمة أكثر من أختها مفتوحة الهمزة، بدليل اجتماع لام التوكيد مع خبرها، وهو محظور على "أن" المفتوحة اجتماعه، كذلك كثرة مواضع الاستئناف البياني في السورة الكريمة مصدرا بـ "إن" مكسورة الهمزة الدالة على التأكيد، فالتأكيد بها كان أقوى.

التوصيات:

توصي الدراسة بتتبع معاني هذين الحرفين في سور القرآن الكريم سورة سورة، حتى يمكن التوصل إلى معانيها الخاصة التي لم تذكر في كتب البلاغيين.

قائمة المصادر والمراجع

- الإتقان للسيوطي ت: 911هـ – تحقيق: حمد أبو الفضل إبراهيم – الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – الطبعة: 1394هـ- 1974م.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود ت: 982هـ – الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة: بدون.
- الأصول في النحو لابن السراج ت: 316هـ – تحقيق: عبد الحسين الفتلي – الناشر: مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت – الطبعة: بدون.
- الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل لبهجت عبد الواحد صالح – الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان – الطبعة: الثانية، 1418 هـ .
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ت: 685هـ – تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي – الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة: الأولى – 1418هـ.
- الإيضاح مع البغية لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع للخطيب القزويني لعبد المتعال الصعيدي – الناشر: مكتبة الآداب – القاهرة – الطبعة: الأولى 1430هـ – 2009م .
- البرهان في علوم القرآن للزركشي ت: 794هـ – تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم – الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه – الطبعة: الأولى، 1376 هـ – 1957 م .
- التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري ت: 616هـ – تحقيق: علي محمد البجاوي – الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه– الطبعة: بدون .
- التحرير والتنوير للشيخ الطاهر بن عاشور – الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس – الطبعة: بدون عام: ١٩٨٤ هـ.

- تحرير التحبير لابن أبي الإصبع ت: 654هـ – تحقيق: الدكتور حفني محمد شرف – الناشر: الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي – الطبعة: بدون .
- خصائص التراكيب للشيخ: محمد محمد أبوموسى – الناشر: مكتبة وهبة – الطبعة: السابعة: بدون.
- دراسات لأسلوب القرآن الكريم للدكتور/ محمد عبدالخالق عضيمة – الناشر: دار الحديث –القاهرة – الطبعة بدون .
- دلائل الإعجاز للإمام عبدالقاهر الجرجاني ت: 471هـ – تحقيق: محمود محمد شاكر – الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة – الطبعة: الثالثة 1413هـ – 1992م.
- دلالات التراكيب للشيخ/ محمد محمد أبي موسي – الناشر: مكتبة وهبة – عابدين، القاهرة – الطبعة: الرابعة 1429هـ/ 2008م.
- ديوان بشار بن برد – تحقيق: الشيخ الطاهر بن عاشور – ضبطه: محمد أمين شوقي – الناشر: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر 1376هـ – 1957م.
- ديوان حاتم الطائي شرحه وقدم له: أحمد رشاد – الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان – الطبعة: الأولى 1406هـ/ 1986م.
- شرح التصريح على التوضيح لزين الدين المصري د ت: 905هـ – الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت، لبنان – الطبعة: الأولى 1421هـ– 2000م.
- شرح كتاب سيبويه لأبي سعيد للسيرافي ت: ٣٦٨ هـ – تحقيق: أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي – الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان – الطبعة: الأولى، ٢٠٠٨ م
- شرح المفصل لابن يعيش ت: 643هـ – قدم له: الدكتور/ إميل بديع يعقوب – الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان – الطبعة: الأولى 1422هـ – 2001م .

- العلة عند الأصوليين في إظهار الحكم الرعي في مسائل فقهية معاصرة للدكتور/ معاذ إبراهيم سالم خليفات – الناشر: الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان – الأردن – الطبعة: الأولى 1435هـ/ 2014م.
- فتح القدير لكمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي ت: 861هـ – الناشر: دار الفكر – الطبعة: بدون.
- الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ت: 395هـ – تحقيق: محمد إبراهيم سليم – الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر – الطبعة: بدون.
- الكتاب لسيبويه ت: 180هـ – تحقيق: عبد السلام محمد هارون – الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة – الطبعة: الثالثة، 1408 هـ – 1988 م .
- كتاب المطول في شرح تلخيص المفتاح لسعد الدين التفتازاني – الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث – درب الأتراك، القاهرة – الطبعة: بدون.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري ت: 538هـ – الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة: الثالثة – 1407 هـ.
- لمسات بيانية في سور القرآن الكريم للدكتور/ فاضل صالح السامرائي سورة: الحج – مخطوط.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي ت: 542هـ – تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد – الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة: الأولى – 1422هـ .
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي: 710هـ – تحقيق: يوسف علي بديوي، وراجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو – الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت – الطبعة: الأولى، 1419هـ – 1998م.
- مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السّوَرِ للبقاعي ت: 885هـ – الناشر: مكتبة المعارف – الرياض – الطبعة: الأولى 1408 هـ – 1987 م.

- معاني القرآن وإعرابه للزجاج ت: 311هـ – تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي – الناشر: عالم الكتب – بيروت – الطبعة: الأولى 1408 هـ - 1988 م .
- معاني النحو للدكتور فاضل صالح السامرائي – الناشر: شركة العاتك لصناعة الكتاب – القاهرة، درب الأتراك – الطبعة: بدون.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي ت: 911هـ – الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة: الأولى 1408 هـ - 1988 م.
- مفاتيح الغيب للرازي ت: 606هـ – الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة: الثالثة – 1420 هـ.
- مواهب الفتاح – ضمن شروح التلخيص– الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان (57/3).
- الموسوعة القرآنية، خصائص السور لجعفر شرف الدين – تحقيق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي – الناشر: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت – الطبعة: الأولى – 1420 هـ.
- نظم الدرر للإمام البقاعي ت: 885هـ – الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة – الطبعة: بدون.